وصية أمير المؤمنين عليه السلام

لولده الإمام الحسن عليه السلام

الشيخ: عماد الكاظمي

(الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية – لندن)

وصية أمير المؤمنين عليه السلام

لولده الإمام الحسن عليه السلام ـ إنموذجاً

الشيخ: عماد الكاظمي

(الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية – لندن)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين، محمد المصطفى وعلى آله الطيبين الطاهرين ..

يُعَدُّ كتابُ «نهج البلاغة» من أمهاتِ مصادرِ التراثِ الإسلاميِّ الخالد، حيث تضمَّنَ كلامَ سيدِ البلغاءِ والمتكلمينَ أميرِ المؤمنينَ عليِّ بنِ أبي طالبٍ (عليه السلام)، والذي هو صِنْوُ النبيِّ (صلى الله عليه وآله وسلم) وربيبُهُ والمتَتَبِّعُ أَثَرَهُ وآثارَهُ، حتى غَذّاهُ من علمهِ ألفَ بابٍ يُفتح له من كُلِّ بابٍ ألفُ باب، ومَنْ تتبَّعَ هذا السفرَ الخالدَ يعلمُ حقيقةَ تلكَ المدرسةِ المحمديَّةِ العلويَّةِ التي خَلُدَتْ مدى تلكَ السنينَ وستبقى إلى آخرِ الدهر، لذا نرى أنَّ كلماتِ كبارِ المفكرينَ قاصرةٌ عن وَصْفِ هذا «النهج العلوي»، حيث يقول المستر (كربنكو)

في خلالِ حديثِهِ عن إعجازِ القرآن: (إنَّ للقــرآنِ أخــاً صَغيراً يُسمى نَهجُ البلاغةِ فهلْ في إمكانِ أحدٍ أنْ يــأتيَ بمثلِ هذا الأخِ الصغيرِ حتى يسوغَ لنا البحثُ عــن الأخِ الكبير)[1] ، ويقولُ الشيخ (ناصيف اليازجي) في وصــيتِهِ لولدِهِ: (إذا شِئْتَ أنْ تفوقَ أقرانَكَ في العلــمِ والأدَبِ وصناعَةِ الإنشاءِ فعليكَ بحفظِ القرآنِ ونَهجِ البلاغــة)[2]، نعم لقد أصبحَ «نَهج البلاغة» يُقْرَنُ بالقرآنِ وهذا جزءٌ من حقيقتِهِ وَسِرِّ خلودِهِ لَمنْ يتطلــعُ ألفاظَــهُ ومعانيــهِ الراقية، حيثُ فيهِ من الكلماتِ التي يَراهــا البــاحثونَ منهجاً إنسانياً أو منهجاً ثقافياً أو قانوناً مدنياً أو تربويــاً وهكذا...، ففي جميعِ مفرداتِهِ نرى الملامِحَ التربويةَ التي يريدُ أنْ يؤكِّدَ عليها من خلالِ خطبِهِ ووصاياهُ وحِكَمِــهِ بل حتى في حروبِهِ وقتالِه (عليه السلام).

وسوفَ نحاولُ في بحثِنا –المتواضع– أنْ نسلطَ الضــوءَ على دُرَرٍ من كلامِ أميرِ المؤمنينَ (عليه السلام) في وصيتِهِ لولدِهِ الإمامِ الحسنِ (عليه السلام) وما تضــمَّنَتْهُ هــذهِ

---

١ . المعجزة الخالدة، السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني، ص ١٧.

٢ . المصدر نفسه ص ٦.

الوصيةُ العظيمةُ من الملامِحِ الفريدةِ في التربيـــةِ علـــى مستوياتٍ عدةٍ سواءٌ على مستوى النفسِ الإنســـانيَّةِ في تعامُلِها مع الخالِقِ والمنعِمِ العظيم، أم معَ غيرِهِ تعالى مـــن الخَلْقِ ومحافظتِها على الفطرةِ السليمةِ للإنسانِ والســـيرِ به نحوَ التكامُلِ الروحيِّ والخُلُقِيِّ الذي تبتغيهِ الشـــريعةُ المقدسة.

وإنَّ هذا المؤتمرَ لمبادرَةٌ كريمَةٌ ورائدةٌ يقومُ بهـــا (مركـــز دراسات الكوفة) في جامعةِ الكوفَةِ في إقامَةِ هذا المـــؤتمرَ العلميَّ حولَ «نهج البلاغة» حيثُ أنَّ هذا النهجَ العلويَّ يحتاج إلى مؤتمرات ومؤتمرات من أجل استخراج كنوزه للبشرية من خلال البحث والدراسة والمقارنة مع المناهج الفكرية الأخرى، بل يستحقُّ أنْ يُؤسَّسَ له مركزٌ علميٌّ خاصٌّ به.

نتقدم بالشكر والثناء لجامعة الكوفة على هذا النشـــاط الفكري والثقافي من خلال إقامتها المـــؤتمرات العلميـــة المتتالية التي لها أكبر الأثر في النهوض بالواقع العلمي في البلاد، وكذلك الأساتذة الأفاضل في (مركز دراســـات الكوفة) الذين يتسابقون مع الزمن من أجـــل إظهـــار

الصورة الناصعة للتراث الإسلامي العظيم من خلال تلك المؤتمرات العلمية الكبيرة التي تشهدها هذه الجامعة في مدينة علي بن أبي طالب (عليه السلام) الذي كانت وستبقى مركزاً للعلم والعلماء والباحثين .. بارك الله بهم وفيهم ولهم إنه جوادٌ كريم.

التمهيد

إنَّ تربية الأبناء من المسائل المهمة التي أكدت عليها الشريعة المقدسة من خلال تعاليمها وذلك من أجل إيجاد مجتمعٍ إسلاميٍّ متكاملٍ تسوده المودة والمحبة والألفة، ولا يكون ذلك إلا بالجدِّ والاجتهادِ من أجل المحافظة على جميع الروابط التي لها دور في تربية الذات والمجتمع، لذا نرى أنَّ القرآن الكريم بيَّنَ منهجه في التكريم حيث شمل تكريمه العام جميع أفراد البشر ابتداء قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾[1]، وأما تكريمه الخاص فإنه يكون وفقاً

---

١ . الإسراء: ٧٠.

لتربيةٍ خاصةٍ يصل إليها الإنسان بعد مجاهدة نفسه والوصول بها إلى درجة التقوى حيث قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)[1] فالتقوى هي مرحلة من مراحل التكريم الخاص لعباده ومرحلة من مراحل التربية نحو الكمال والتكامل الإنساني.

ولكي يصل الإنسان إلى هذه المرحلة هناك عوامل عدة لها أثر في ذلك منها ما يجب على الآباء القيام به تجاه أبنائهم والمحافظة عليهم من كل ما يُبعدهم عن الصراط القويم والتكامل الذاتي لهم، حيث أنها من مسؤوليتهم إضافة لما يولونهم من الحب والعناية والاهتمام، وقد قدَّمَ أمير المؤمنين (عليه السلام) مثالاً راقياً من أمثلة حب الآباء لأبنائهم والتفاني من أجلهم، حيث يبيِّن ذلك بألفاظٍ ملؤها الحب والحنان والعناية، فيجب علينا ونحن في طور التربية أنْ نجمع بين الحب والحنان وبين التربية

---

١ . الحجرات: ١٣.

الصالحة، حيث أنَّ الحب والعاطفة دون الاهتمام بالتربية الصالحة وطرقها قد يؤدي في الأغلب إلى الانحراف، وخصوصاً في أعمار معينة حيث تكون من أخطر مراحل التربية وهذه المرحلة هي التي أشار إليها أمير المؤمنين (عليه السلام) بقوله (قلب الحدث)[1] فمَنْ يتأمل في كلماتِ مقدمةِ هذه الوصية الخالدة يلتمس الأبوة العظيمة التي يجب أنْ تكون في الآباء تجاه أبنائهم، فليست الوصية وكلام المعصومين (عليهم السلام) هو خاص في الأفراد المخاطبين، بل هو درسٌ وعبرةٌ للجميع، فعلى الآباء والمربِّين أنْ يتأمَّلوا في هذه الوصية التي هي بمثابة دستورٍ تربويٍّ متكاملٍ، حيث يقول (عليه السلام): (مِنَ الوَالِدِ الفَانِ المُقِرِّ لِلزَّمَانِ المُدْبِرِ العُمُرِ

---

١ . أشار أمير المؤمنين (عليه السلام) في وصيته لولده بقوله (قلب الحدث) ولكننا نعلم أنَّ هذه الوصية كانت منه لولده عند انصرافه من معركة صفين فيكون عمر الإمام الحسن (عليه السلام) أكثر من ثلاثين سنة، ولا يمكن أنْ يكون (حدثاً)؟ فعلينا أنْ نتأمل أنَّ الخطاب ليس بالضرورة أنْ يكون خاصاً بالمخاطب دون غيره، وهذا الأسلوب واضح عند العرب فكثير من خطابات القرآن يكون المخاطب فيه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والمراد به غيره، فهذه الوصية من هذا النوع من الخطاب فليس هو خاص للإمام الحسن (عليه السلام) بل لكل مسلمٍ مسؤولٍ عن تربية أبنائه يبين له الإمام (عليه السلام) ملامح التربية منذ بداية تلقيه للمعارف (قلب الحدث) إلى أنْ يبلغ مبلغاً من العمر.

المُسْتَسْلِمِ لِلدَّهْرِ ... وَجَدْتُكَ بَعْضِي بَلْ وَجَدْتُكَ كُلِّي حَتَّى كَأَنَّ شَيْئاً لَوْ أَصَابَكَ أَصَابَنِي وَكَأَنَّ المَوْتَ لَوْ أَتَاكَ أَتَانِي فَعَنَانِي مِنْ أَمْرِكَ مَا يَعْنِينِي مِنْ أَمْرِ نَفْسِي فَكَتَبْتُ إِلَيْكَ كِتَابِي هَذَا مُسْتَظْهِراً بِهِ إِنْ أَنَا بَقِيتُ لَكَ أَوْ فَنِيتُ).

فهذه الكلمات تظهر جزء من حقيقة منزلة الأبناء عند الآباء، وكذا كيفية الحرص الذي يجب أنْ يكون عند الآباء على أبنائهم، فالإسلام كونه نظاماً تكاملياً شاملاً كان له اهتمام بالغ بالفرد والأسرة وللشريعة في ذلك مواقف كثيرة ابتداء من اختيار الزوجة الصالحة التي تكون وعاءً للمولود، ففي الحديث عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): (إياكم وخضراء الدِّمَنْ ؟ قيل: يا رسول الله وما خضراء الدمن ؟ قال: المرأةُ الحسناءُ في منبتِ السوء)[1] وفي حديث: (إياكُمْ وتزوُّجِ الحمقاء فإنَّ صُحبتها بلاءٌ، وولدها ضياعٌ)[2] ثم بيَّن الإسلام أنَّ للمولود بعد ولادته أيضاً من الحقوق

---

١ . الحقوق الاجتماعية في الإسلام، عباس ذهبيات، ص٧٢.
٢ . الكافي، الكليني ٣٥٣/٥.

الكثيرة ابتداء من اختيار الاسم له قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (حق الولد على الوالد أنْ يحسنَ اسمه، ويحسنَ أدبه، ويعلمهُ القرآن)[1] وغير ذلك من الروايات التي لها أحسن الأثر في التربية.

من خلال ذلك نرى أهمية الأسرة في الإسلام، فالأسرة كما قيل هي المحيط التربوي الأساس المسؤول عن إعداد الطفل للدخول في الحياة الاجتماعية ليكون عنصراً فعالاً في إدامتها على أساس الصلاح والخير والبناء الفعال، وهي مسؤولة بالدرجة الأولى عن النشأة والترعرع، ولأهمية الأسرة في البناء التربوي أبدى أهل البيت (عليهم السلام) أهمية خاصة بها، لذلك نرى أنَّ الإمام (عليه السلام) في هذه الوصية الخالدة يؤكد على كل المعاني السامية التي لها بالغ الأثر في التربية، لذلك نستمع إليه وهو يخاطب ابنه بقوله: (فعناني من أمرك ما يعنيني من أمر نفسي) وفي هذا درسٌ تربويٌّ كبيرٌ من جهتي الحنان والاهتمام يجب على الآباء أنْ يلتفتوا إليه بأنَّ الاهتمام بتربية الأبناء هو جزء من اهتمامِ المرء

---

١ . ميزان الحكمة، محمد الريشهري، ٨ / ٣٦٧٩.

بنفسه، وستظهر آثاره لاحقاً في الدنيا بل تتبعه كـــذلك في الآخرة، وخير من أكد على هذا الحق من بعده (عليه السلام) حفيده الإمام السجاد (عليه السلام) في رسالة الحقوق حيث يقول: (وأما حَقُّ ولدكَ فأنْ تعلم أنه منكَ ومضافٌ إليكَ في عاجِلِ الدنيا بخـــيرِهِ وشـــرِّهِ، وأنـــكَ مسؤولٌ عما ولَّيتَهُ مِنْ حسنِ الأدبِ والدلالةِ على ربـــه والمعونةِ له على طاعته فيك، فاعملْ في أمرهِ عملَ المتزيِّن بحسنِ أثرهِ عليه في عاجل الدنيا المعذور إلى ربـــهِ فيمـــا بينكَ وبينهُ بحسنِ القيامِ عليهِ والأخذِ له منه ولا قوة إلا بالله).[1]

من خلال ما تقدم كان لنا إطلالة سريعة علـــى بعـــض الملامح التربوية في هذه الوصية الخالدة والتي تعد مـــن أعظم مناهج التربية الإنسانية والإسلامية التي تضـــمنتها صفحات هذا السفر العظيم (نهج البلاغة). وقد قســـم البحث على ثلاثة محاور إضافة للمقدمـــة والتمهيـــد ثم الخاتمة.

---

١ . رسالة الحقوق، الإمام زين العابدين.

– المحور الأول: العلاقة بين العبد وربه وأثر ذلك على تربية الذات.

– المحور الثاني: تهذيب النفس عن مساوئ الأخلاق وأثره على السلوك الفردي.

– المحور الثالث: العلاقة بين الإنسان والمجتمع وأثر التربية في ذلك.

حيثُ سيتمُّ في المورد الأول تناولُ السُّبُلَ الكفيلةَ في تكوينِ هذه العلاقَةِ وتوثيقِها وأثر ذلك من خلال مفردات الوصية ودور ذلك وأثره على الفرد حيث أنها أُولى العلاقاتِ وأعظمُها كما أشارَ إلى ذلك الإمامُ زينِ العابدين (عليه السلام) في رسالةِ الحقوق.

وأما في المحور الثاني فسوف نتحدثُ عن كيفيةِ تهذيبِ النفسِ من كُلِّ عوائق تربيتِها، وبيانِ تلك العوائقِ التي تحولُ دونَ وصولِها إلى كمالِها، وعلاقةِ هذا المورِدِ الثاني – الوسط – مع المحورَيْنِ الأول والثالث.

وأخيراً سيتمُّ بيانُ كيفيةِ بناءِ الروابطِ الإنسانيَّةِ في المجتمعِ من خلالِ بناءِ العلاقاتِ الصحيحةِ التي لا تشوبُها المصلحةُ الشخصيةُ أو تتوقفُ عليها.

فإنِّي أظِنُّ أنَّ هذهِ الوصيةَ مِنْ غُرَرِ الكَلِمِ ودُرَرِهِ الـتي يجبُ علينا أنْ نشملَها بالدراساتِ التربويةِ الحديثةِ لِنُبيِّنَ بالتالي منهجَ أهلِ البيتِ (عليهم السلام) في هذا المجال..

نهج البلاغة والمنهج الإسلامي في الأخلاق والتربية

إننا عندما نريد أنْ نتحدث عن المعاني الكبيرة التي تتضمنها كلمات أمير المؤمنين (عليه السلام) في نهج البلاغة وغيره فإننا نتحدث عن ألفاظٍ ومعانٍ مرادفة للقرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والذي يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين، وكذلك إنَّ كلمات أمير المؤمنين (عليه السلام) وصنوه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من قبل هي كذلك منهاجاً ودستوراً إنسانياً متكاملاً سواء في السلم أو الحرب، ومع أوليائه أو مع أعدائه، وهذا في الحقيقة هو الخلق والمنهج القرآني، لذا فإنَّ أيَّ كلمة من كلمات قواميس اللغة لا يمكنها أنْ تبين حقيقة هذا القرآن الناطق كما ورد في الروايات، لذا قد حار أعداؤه في كُنهه ووصفه إضافة لمحبيه حيث قال ابن أبي الحديد المعتزلي (ت ٦٥٥هـ) في مقدمة شرح نهج

البلاغة: (وما أقولُ في رجلٍ أقرَّ له أعـــداؤه وخصـــومه بالفضل ولم يمكنهم جحد مناقبه ولا كتمان فضائله، فقد علمت أنه استولى بنو أمية على سلطان الإسلام في شرق الأرض وغربها واجتهدوا بكل حيلة في إطفـــاء نـــوره، والتحريض عليه، ووضع المعايب والمثالب له، ولعنـــوه على جميع المنابر، وتوعدوا مادحيـــه، بـــل حبســـوهم، وقتلوهم، ومنعوا من رواية حديث يتضمن له فضيلة، أو يرفع له ذكراً، حتى حظروا أنْ يُسمى أحد باسمه، فمـــا زاده ذلك إلا رفعـــةً وسمـــواً، و كان كالمسك كلمـــا ستر انتشر عرفه، وكلما كتم تضوَّع نشره، وكالشمسِ لا تُستر بالراحِ، وكضوءِ النهارِ إنْ حجبتَ عنـــه عـــينٌ واحدة أدركته عيونٌ كثيرة. وما أقول في رجلٍ تُعـــزى إليه كُلُّ فضيلةٍ، وتنتهي إليه كُلُّ فرقةٍ، وتتجاذبه كُـــلُّ طائفةٍ، فهو رئيسُ الفضائلِ وينبوعُها، وأبـــو عـــذرها، وسابق مضمارها، ومُجلي حلبتها، كُلُّ مَنْ بـــزغ فيهـــا بعده فمنه أخذ، وله اقتفى، وعلى مثاله احتـــذى ...)[1]،

---

١ . شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المعتزلي، ينظر ص ٦

فهذا هو عليٌّ، وتلك هي كلماته في نهجه العظيم، ومن كلماته الخالدة تلك الوثيقة أو الوصية التربوية ..

إنَّ الحديث عن هذا الوصية وما تنطوي عليها من مفاهيمَ أخلاقيةٍ وتربويةٍ متكاملةٍ إنما هو حديثٌ عن مثالٍ إسلاميٍّ متكاملٍ يُبين للإنسان سبل الهدية والصلاح والفوز والسعادة في الدنيا والآخرة، فالدين هو المنهج الذي يكفل للإنسان سعادته وتحقيق صلاحه وتكامله ولا يمكن تحقيق ذلك بدون الدين إطلاقاً، لأنَّ المشرعَ لهذا المنهج هو الله تعالى الغني والحكيم المطلق الذي لا يضره شيء في السموات والأرض، بخلاف غيره ممن يَدَّعون أنهم مشرِّعون، فمهما بلغوا من العلو والرفعة فإنهم يبقون من صنف البشر الفقير المحتاج الذي لا يمكنه تحقيق كماله بذاته، وقد جَرَّبت الأمم أنواع الأنظمة التي تَدَّعي أنها المُخَلِّصة لها من شقائها ولكن رأينا ولمسنا فشل تلك النظريات والأنظمة، فإنه لا يتعدى سوى الخروج من أزمةٍ أو مصيبةٍ والوقوع في غيرها، ولذا قال الشهيد الصدر (قدس سره) في وصف المشكلة الإنسانية التي تعاني منها البشرية: (إنَّ مشكلة

العالم التي تملأ فكر الإنسانية اليـــوم، وتمـــس واقعهـــا بالصميم، هي مشكلة النظام الاجتماعي التي تتلخص في إعطاء أصدقِ إجابةٍ عن السؤال الآتي: ما هـــو النظـــام الذي يصلح للإنسانية وتسعد به في حياتها الاجتماعية ؟ ومن الطبيعي أنْ تحتل هذه المشكلة مقامها الخطير، وأنْ تكون في تعقيدها وتنوع ألـــوان الاجتـــهاد في عملـــها مصدراً للخطر على الإنسانية ذاتها.

لأنَّ النظامَ داخلٌ في حساب الحياة الإنسانية، ومؤثر في كيانها الاجتماعي بالصميم. وقد دفعت هذه المشـــكلة بالإنسانية في ميادينها الفكرية والسياســـية إلى خـــوض جهادٍ طويلٍ وكفاحٍ حافلٍ بمختلف ألـــوان الصـــراع، وبشتى مذاهب العقل البشري، التي ترمـــي إلى إقامـــة الصرح الاجتماعي وهندسته، ورسم خططـــه ووضـــع ركائزه. وكان جهاداً مرهقاً يضج بالمآســـي والمظـــالم، ويزخر بالضحكات والدموع، وتقترن فيـــه الســـعادة بالشقاء. كل ذلك لما كان يتمثـــل في تلـــك الألـــوان الاجتماعية من مظاهر الشذوذ والانحراف عن الوضـــع الاجتماعي الصحيح، ولولا ومضات شعت في لحظـــاتٍ

من تأريخ هذا الكوكب لكان المجتمع الإنساني يعيش في مأساةٍ مستمرةٍ وسبحٍ دائمٍ في الأمواج الزاخرة)[1]، فإنَّ للإنسان دوراً كبيراً في تكوين نوعية المجتمع، حيث أنَّ المجتمعَ تجمعٌ بشريٌّ تتكون تشكيلته واتجاهاته من مجموعة أولئك البشر الذين يمثلون مجتمعهم، والإسلام كان رائداً في تحصين الإنسان من كل أنواع الانحرافات وبالتالي كان يهدف إلى إيجاد مجتمع متكامل، وقد وصفت الشخصية الإسلامية وتحديد علاقاتها بعدة أوصاف ففي أحدها يقول مؤلف «التوازن في الشخصية الإسلامية»: (اهتم الإسلام كثيراً بعلاقة المسلم مع مجتمعه، فقد حدد في تعاليمه ومناهجه الإلهية الصيغ المطلوبة لهذه العلاقة التي تهدف إلى تعزيز الرابطة الاجتماعية بين المسلمين وصناعة المجتمع الإسلامي المتماسك في علاقاته وأسسه وعناصره، وقد رسم خطاً تصاعدياً في هذا الخصوص يبدأ من الإنسان ثم ينتهي بالمجتمع، فالفرد لا ينفصل في تصرفاته وسلوكه عن المحيط الذي يعيش فيه، فهو وحدته الأساسية وقد

---

١ . المدرسة الإسلامية، السيد محمد باقر الصدر، ص ١١-١٢.

تتحول هذه الوحدة إلى عنصر بناءٍ، أو ربما تصبح عامل هدمٍ، وفي كلتا الحالتين يرتبط السلوك الفردي بالحصيلة الاجتماعية للمحيط الذي يعيش فيه).[1]

إذاً فالإسلام في تشريعاته لم يبتغِ تربية الفرد والذات من أجلها فقط بل من أجل نشر الفضيلة والمكارم في المجتمع الإنساني المتكامل، ولذا ورد عدة كلمات للمربِّين التربويين في ذلك منها قولهم: (الإسلام ليس منهج اعتقاد وشعور في القلب فحسب، بل هو منهج حياة إنسانية واقعية .. وقد جعل الإسلام كل مسلم مسؤولاً في بيئته الاجتماعية يمارس دوره الاجتماعي البَنّاء من موقعه قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) «كلكم راعٍ وكلكم مسؤولٌ عن رعيته» ... فالقرآنُ الكريم دستورُ البشرية الخالدة يمتاز بالشمول والإحاطة الكاملة بجميع شؤون الحياة وقد وضع أُسُساً عامة في علاقة الفرد بالمجتمع، ووضع لكل طرفٍ حقوقه وواجباته للنهوض من أجل إتمام مكارم الأخلاق وإشاعة

---

١ . التوازن في الشخصية الإسلامية، حسين بركة الشامي، ص ٥٣.

الودِّ والحبِّ والوئام في ربوع المجتمع الإنساني ... ومن حقوق المجتمع على الفرد أنْ يقوم بواجب الإصلاح والتغيير للحفاظ على سلامة المجتمع من الانحراف العقائدي والاجتماعي والأخلاقي).[1]

فالإسلام أراد أنْ يخلِّص البشرية من كُلِّ هذا العناء والشقاء وقد أكد القرآن الكريم على ذلك في كثير من آياته المباركة، ومن أوضحها قوله تعالى: ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لأَسْقَيْنَاهُم مَّاء غَدَقًا﴾[2] والغَدَق هو الغزير كما ورد في مفردات الراغب، وفي ذلك كناية عن العطاء الرباني الكبير واللامحدود من النِّعَمِ على الإنسان الذي يتمسك بهذا المنهج، حيث نعلم أنَّ الإنسان يحاول أنْ يتعرَّفَ على كُلِّ شيء ويحصل على كل ما يريده، وهذا ليس أمرٌ مستحيلاً لو اطمأنَّ الإنسانُ بأنه يعتمد في مشروعية متطلباته على الله تعالى الذي لا يقف أمام عطائه شيءٌ أو حَدٌّ.

---

١ . آداب الأسرة في الإسلام، السيد سعيد كاظم العذاري،ص ١١٣.
٢ . الجن: ١٦.

يصف العلامة الشيخ «محمد مهدي الآصفي» هذا الشعور عند الإنسان بقوله: (فالدين إذن هو المجال الطبيعي الملائم لاهتمامات الإنسان وتطلعاته وطموحه المتناهي والمتسامي، ولا شيء في هذا الكون يستطيع أنْ يحلَّ محلَّ الدين في حياة الإنسان في إرضاءِ طموحِهِ واهتماماته وضميره ولا شيء يستطيع أنْ يحقق شخصية الإنسان وكماله الإنساني الخاص به وقيمته الحقيقية في هذا الكون كالدين والإيمان بالله سبحانه وتعالى).[1]

وهذه حقيقة لا يمكن للإنسان أنْ يتعالى عليها لو رجع إلى الفطرة السليمة التي جُبِل عليها أو أي دينٍ يؤمن به لأنَّ المفروض بالدين أو بمَنْ يريد تشريعُ نظامه أنْ يصبو إلى تهذيبِ الإنسان والوصول إلى كماله، وقد أكد ذلك عدد من الفلاسفة الغربيين كذلك فمثلاً يذكر الشيخ الآصفي في هذا المجال: (ويقول ريمون دبيج «ليس في مقدورِ الإنسانِ أنْ يسلكَ طريقاً إلى الفضائل الأخلاقية بمعزلٍ عن الدين والأخلاق من دون دين جسد بلا

---

١ . دور الدين في حياة الإنسان، الشيخ محمد مهدي الآصفي، ص١٨٣.

روح» «ومن دونِ الدينِ لا قيمةَ للأخلاق، ومن دونِ الدينِ تتحول الأخلاق إلى محاسبة جافة، ويزل الإحساس بالمسؤولية» «ويقول ديويدهيوم: فإنَّ الإيمان بالله هو منطلق كل الفضائل والغايات السامية في حياة الإنسان، ومبدأ كل الفضائل الأخلاقية والإنسانية»).[1]

إنَّ المنهج التربوي الإسلامي يمتاز عن غيره من المناهج الأخرى مما يُضمن فيه النجاح والابتعاد عن الشقاء لأنه لا يعتمد المصدر الإنساني وجهده الذي هو في معرض الخطأ وحب الذات بل يعتمد مصادر فوق ذلك بكثير حيث الكمال فيها والتكامل وهي:

– أولاً: القرآن الكريم، حيث هو المصدر الأول الذي يستمد الباحث التربوي الإسلامي نظرياته ومعانيه وأفكاره منه.

– ثانياً: السنة النبوية الشريفة، والتي تمثل المصدر الثاني للتشريع الإسلامي في كُلِّ مجالاته من حيث التأكيد على الأسس العظيمة لمناهج التربية الإسلامية.

---

١ . المصدر نفسه ص١٨٤.

– ثالثاً: نصوص الأئمة (عليهم السلام) والتي هي امتداد لأحاديث النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) التي تجلت فيها المعاني السامية لسيرة الأئمة على مدى أكثر من قرنين تستمد الأمة من عطائهم وتراثهم حتى غدا كتراً عظيماً من كنوز العلم والمعرفة يرجع إليها الباحث التربوي الإسلامي في مجالي النظرية والتطبيق للمناهج التربوية.[1]

فهذا هو المنهج الإسلامي وإنَّ نهج البلاغة قد تضمَّن كثيراً من المفاهيم الإنسانية الإسلامية العظيمة التي لها دور كبير في سعادة البشرية وبيان أفق العلاقات الخاصة والعامة في شتى نواحي الحياة، وهذه الوصية المباركة هي جزء من تلك المعاني الكبيرة التي اشتملها عليها هذا السفر الخالد في التأريخ الإنساني والفكري والثقافي.

---

١ . التعلم والتعليم في النظرية التربوية الإسلامية، يوسف مدن، ينظر ص ٣٣.

المحور الأول / العلاقة بين العبد وربه وأثر ذلك على تربية الذات.

بعد أنْ بينا فيما تقدم مميزات المنهج التربوي الإسلامي عن سواه نحاول في هذا المحور من البحث أنْ نسلط الضوء على بعض المفردات التي تضمنتها هذه الوصية الخالدة والتي لها دور أساس في تربية النفس الإنسانية والحفاظ على العلاقة الوثيقة بين الإنسان وخالقه بحكم الفطرة السلمية التي لم تلوِّثها الأهواء والشكوك والظنون، وهذه المفردات السامية تتضمن في الفقرة التالية إجمالاً حيث قال (عليه السلام):

(فَإِنِّي أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللهِ أَيُّ بُنَيَّ وَلُزُومِ أَمْرِهِ، وَعِمَارَةِ قَلْبِكَ بِذِكْرِهِ، وَالاعْتِصَامِ بِحَبْلِهِ وَأَيُّ سَبَبٍ أَوْثَقُ مِنْ سَبَبٍ بَيْنَكَ وَ بَيْنَ اللهِ إِنْ أَنْتَ أَخَذْتَ بِه).

فهذه مقدمة لأمرٍ عظيمٍ وهو الاهتمام بالقلب وتهذيبه عن الرذائل وكل ما يطفيء نور الفطرة والمحافظة عليه، وهذا لا يكون إلا باللجوء إلى الله تعالى وتقواه في السر والعلانية، وإنَّ الوصول إلى ذلك هو مدخل لتهذيب النفس وإيجاد العلاقة الجديدة الوثيقة مع الله تعالى، لذا

فالإمام (عليه السلام) يوصي ولده الإمام الحسن (عليه السلام) بالمحافظة على هذا القلب من أعدائه في الظاهر والباطن فيبيِّن له صلاح هذا القلب من خلال فقرات عدة لها دور بالغ في هذا المجال، ولها أثر نافع في التربية النفسية وتهذيبها من أمراض حب الدنيا والانغماس فيها، وهذه الفقرات التي تناولت هذه العلاقة هي ثلاث نحاول تسليط الضوء عليها إجمالاً لنكون على بينةٍ من هذه الدروس التربوية للذات في سلوكها مع الله تعالى.

أولاً / تقوى الله تعالى (فَإِنِّي أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللهِ أَيُّ بُنَيَّ وَلُزُومِ أَمْرِهِ) .

إنَّ الإمام علياً قد أشار إلى التقوى في كثير من خطبه وكلماته سواء في نهج البلاغة أو غيرها، بل حتى في هذه الوصية الخالدة فقد أشار إليها في موارد عدة، حيث يقول بعد ذكر جملة من الوصايا: (وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّ أَحَبَّ مَا أَنْتَ آخِذٌ بِهِ إِلَيَّ مِنْ وَصِيَّتِي تَقْوَى اللهِ...) والوصول إلى هذه المنزلة الرفيعة (التقوى) التي طالما مدحها الله تعالى في كتابه المجيد من حيث المعية لله تعالى

هذا الصنف قال تعالى: ﴿وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾[1] أو حبه تعالى لهم فقال تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾[2] أو من حيث انحصار قبول الدعاء فيهم قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾[3] وغيرها من الآيات التي تبين مقامهم.

إنَّ تقوى الله تعالى من أعظم الصفات التي يجب على المؤمن أنْ يصل إليها. والتقوى كما في المفردات: (جعل النفس في وقاية مما يخاف، وصار التقوى في تعارف الشرع حفظ النفس عما يؤثم، وذلك بترك المحضور، ويتم ذلك بترك بعض المباحات لما روي الحلالُ بَيِّنٌ، والحرامُ بَيِّنٌ، ومَنْ رتعَ حول الحمى فحقيق أنْ يقع فيه).[4]

وهذا المصطلح أو هذا الصنف من الناس كان مورد عناية الشريعة المقدسة في جوانب عدة كما هو ظاهر من آيات القرآن الكريم، يقول السيد السبزواري في

---

١ . التوبة: ٣٦.
٢ . التوبة: ٧.
٣ . المائدة: ٢٧.
٤ . مفردات غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ص٥٥٥.

تفسيره: (والمتقين من الاتقاء، والاسم التقوى ومعناها الحجز والمنع، وهي من أعلى الصفات التي اعتنى بها الله تبارك وتعالى، كما أنها من أجلِّ المقامات الإنسانية وأرفعها، والتقوى تدور مدار الإيمان والعمل الصالح ... والتقوى فوق الإيمان بدرجة وقد وردت جملة من الأخبار فعن الرضا (عليه السلام) «الإيمان فوق الإسلام بدرجة، والتقوى فوق الإيمان بدرجة، واليقين فوق التقوى بدرجة، وما قسم في الناس شيء أقل من التقوى»[1] فالتمسك والوصول إلى هذه المنزلة هو من المطالب القرآنية العظيمة، والأحاديث الشريفة قد أكدت على ذلك من خلال كثير من الروايات المباركة وذلك لأهميته وعظمته وما فيه من الآثار على النفس، فقد ورد من آثار التقوى أنها حصن للمتقين من الوقوع في المحرمات فقد ورد في الحديث عن أمير المؤمنين (عليه السلام): (أمنعُ حصونِ الدين التقوى)[2]، وأنها مفتاح

---

١ . مواهب الرحمن في تفسير القرآن، السيد عبد الأعلى السبزواري، ج١ ص٦٣.

٢ . غرر الحكم ودرر الكلم، عبد الواحد محمد الآمدي، الحكمة (٥٨٨٨).

الصلاح والخير فقد ورد عنه (عليه السلام): (سببُ صلاحِ الإيمان التقوى)[1]، وأنها مفتاح الهداية كما ورد عنه (عليه السلام): (مَنْ غرسَ أشجار التقى جنى ثمار الهدى)[2]، وأنها الشرف كما ورد فيها عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): (شرف الدنيا الغنى، وشرف الآخرة التقوى)[3]، وأنها داء القلوب والعروة الوثقى ومورد قبول الأعمال وبها المخرج من كل عسر وغيرها من الآثار.[4]

وخير ما ورد في عظيم هذه المنزلة وصفات أصحابها ما ورد في خطبة أمير المؤمنين في «صفات المتقين» فإنَّ فيها من المعاني ما لا تدرك حقيقة وصفه الأقلام ...[5]

ثانياً / عمارة القلب بذكر الله (وَعِمَارَةِ قَلْبكَ بِذِكْرِهِ)

في هذا المقطع من الوصية المباركة نرى ثلاث كلمات هي (العمارة) و(القلب) و(ذكر الله) ولكل كلمته معنىً

---

١ . المصدر نفسه، الحكمة (٥٩١١).
٢ . ميزان الحكمة، ٨ / ٣٦٢٨.
٣ . المصدر نفسه ٨ / ٣٦٣٠.
٤ . للتفصيل يراجع ميزان الحكمة ج٨ ص ٣٦٢٣.
٥ . يراجع الخطبة (١٨٨) في صفات المتقين والتي أولها: (أما بعد، فإنَّ الله سبحانه وتعالى خلق الخلق حين خلقهم غنياً عن طاعته، آمناً من معصيته).

كبيراً وعظيماً ينطوي فيها لَمَنْ يتأمل ويتدبر ذلك، حيث يريد الإمام (عليه السلام) لولده أنْ يكون بناءه بناءً رصيناً باعتماده الأسس القوية التي لا تنهار أمام أدنى بلاءٍ أو اختبارٍ في ساحة الجهاد الأكبر للإنسان مع النفس[1] فيتغلب عليها لتكون أسيرة طَوْعَ أسره وأمره في كل آنٍ، فإنَّ هذا الدور له أثرٌ كبيرٌ على إيجاد العلاقة الوثيقة بين العبد وربه حيث لا يكون القلب عامراً ما لم يكن مطمئناً، وهذا لا يكون إلا بذكره تعالى في كُلِّ أحواله، حيث لا يرى شيء إلا ويرى الله تعالى فيه موجود حاضر، فلا يغيب الله تعالى عنه آناً فيكون العبد ين يديه دائماً وتحت رعايته أبداً، ولذا قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[2]، وأما مَنْ يكون الذكر عنه غائباً أو معرضاً عنه فإنه يعيش حياة الذل والهوان والافتقار إلى الراحة النفسية من خلال هموم طلب اللذات

---

١ . فقد ورد في الحديث الشريف أنَّ جهاد النفس هو الجهاد الأكبر كما ورد عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): عندما خاطب سرية رجعوا من الجهاد فقال: (مرحباً بقومٍ قضوا الجهاد الأصغر وبقي عليهم الجهاد الأكبر. قيل: يا رسول الله وما الجهاد الأكبر؟ قال: جهاد النفس).

٢ . الرعد: ٢٨.

والشهوات، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾[2] وغيرها من الآيات المباركة، فهذه مرحلة مهمة من مراحل تربية النفس للحفاظ عليها من الزلل يريد أنْ يؤكد عليها أمير المؤمنين (عليه السلام)، ولذلك ورد عند تفسير هذه الآية المباركة: (الذكر كما يقول الراغب في مفرداته حفظ المعاني والعلوم ويستعمل الحفظ للبدء به، بينما الذكر الاستمرار فيه، ويأتي في معنىً آخر هو ذكر الشيء باللسان أو القلب، لذلك قالوا إنَّ الذكر نوعان (ذكر القلب) و (ذكر اللسان) وعلى أية حال ليس المقصود من الذكر –في الآية أعلاه– هو ذكره باللسان فقط فنقوم بتسبيحه وتهليله وتكبيره، بل المقصود هو التوجه القلبي له وإدراك علمه، وبأنه الحاضر والناظر، وهذا التوجه هو مبدأ الحركة والعمل والجهاد والسعي نحو

---

١. طه: ١٢٤.
٢. الزخرف: ٣٦.

الخير وهذا سدٌّ منيعٌ عن الذنوب)[1]، إذاً فليس المراد بالذكر كما يفهمه بعضٌ أنه مجردُ أذكارٍ ترد على اللسان بل هو أعمق من ذلك وأدق، وقد ورد هذا المعنى في وصية النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلي (عليه السلام) حيث يقول: (يا علي ثلاث لا تطيقها هذه الأمة: المواساة للأخ في ماله، وإنصاف الناس من نفسه، وذكر الله على كل حال، وليس هو سبحان الله والحمد لله ولا اله إلا الله والله أكبر، ولكن إذا ورد على ما يُحَرَّمُ عليه خاف الله عزوجل عنده وتركه)[2] وإنَّ الإمام (عليه السلام) يدرك حقيقة هذا الأمر وأثره في العلاقة مع الله تعالى لذا نراه يؤكد في وصيته بالمحافظة على الذكر لعلمه ما لمقام الذاكرين، حيث ورد أنَّ للذكر ثمرات كثيرة تضمنتها الروايات عن المعصومين (عليه السلام) ولأهمية ذلك نذكر بعضاً من ثمرات الذكر:

---

١ . الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ٧ / ٢٩٣.
٢ . المصدر نفسه.

١- إنه مفتاحُ الصلاح كما ورد في الحديث عن أمير المؤمنين (عليه السلام): (أصلُ صلاحِ القلبِ اشتغالُهُ بذكرِ الله).[١]

٢- إنه حياةُ القلوب كما ورد في الحديث عن أمير المؤمنين (عليه السلام): (مَنْ ذكرَ الله سبحانه أحيا الله قلبه ونوَّر عقله ولُبَّه).[٢]

٣- إنه قوتُ النفوس كما ورد في الحديث عن أمير المؤمنين (عليه السلام): (ذِكْرُ اللهِ قوتُ النفوسِ ومجالسةُ المحبوب).[٣]

٤- إنه نورُ القلوب كما ورد في الحديث عن أمير المؤمنين (عليه السلام): (دوامُ الذكرِ ينيرُ القلبَ والذكرَ).[٤]

٥- إنه جلاءُ القلوب كما ورد في الحديث عن أمير المؤمنين (عليه السلام): (إنَّ الله سبحانه جعل الذكرَ

---

١ . غرر الحكم ودرر الكلم، الحكمة (٣٦٠٨).
٢ . المصدر نفسه، الحكمة (٣٦٤٥).
٣ . ميزان الحكمة، ٣ / ٩٦٩.
٤ . المصدر نفسه.

للقلوب، تسمعُ به بعد الوقرة، وتبصرُ به بعد العشـــوة، وتنقادُ به بعد المعاندة).[1]

٦- إنه شفـــاءُ القلوب كما ورد في الحـــديث عـــن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم):(عليكم بذكرِ اللهِ فإنه شفاءٌ، وإياكم وذكر الناس فإنه داء).[2]

٧- إنه مفتاحُ الأُنس كما ورد في الحديث عن أمـــير المؤمنين (عليه السلام): (ذكرُ اللهِ ينيرُ البصائرَ ويـــؤنسُ الضمائرَ).[3]

٨- إنه مطردةٌ للشيطان كما ورد في الحديث عـــن أمير المؤمنين (عليه السلام): (ذكرُ اللهِ رأسُ مالِ كُـــلِّ مؤمنٍ، وربحه السلامة من الشيطان).[4]

٩- إنه أمانٌ من النفاق كما ورد في الحديث عن أمير المؤمنين (عليه السلام): (مَنْ أكثرَ ذكرَ اللهِ فقد بـــريء من النفاق).[5]

---

١ . نهج البلاغة الخطبة (٢١٧).
٢ . ميزان الحكمة، ٣ / ٩٦٩.
٣ . غرر الحكم، الحكمة (٣٦٤٠).
٤ . المصدر نفسه، الحكمة (٣٦٢١).
٥ . ميزان الحكمة / ٩٧٠٣.

١٠- إنَّ ثمرته الحب كما ورد في الحديث عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): (مَنْ أكثرَ ذكرَ الله أحبه).[١] فتلك عشرة كاملة من آثار ذكر الله وأثره على عمارة القلب، وإحياء النفس وتربيتها وتزكيتها، لذا ورد في الدعاء (يا من ذكره شرف للذاكرين)، فهذه أهم آثار مداومة الذكر التي يؤكد عليها أمير المؤمنين (عليه السلام) في وصيته، وما لها من الأثر التربوي على الذات.

ثالثاً / الاعتصام بحبل الله تعالى (وَالاعْتِصَامِ بِحَبْلِه)

في هذا المقطع يؤكد الإمام (عليه السلام) أيضاً – كما سبق – على أمر عظيمٍ آخرٍ له دور في مراحل التكامل النفسي والروحي للإنسان وهو الاعتصام بحبل الله تعالى فيُبين أنَّ هذا التمسك هو من أقوى سبل الارتباط بالله تعالى وما فيه من الآثار على العبد.

فالاعتصام والتمسك بحبل الله هو السبيل للهداية الإنسانية، وحبل الله كما ورد عن الراغب في المفردات قوله: (فحبله هو الذي معه التوصُّلُ به إليه من القرآن

---

١ . المصدر نفسه.

والعقل وغير ذلك مما إذا اعتصمتَ به أدّاكَ إلى جواره)[1]، ولمعرفة مراده (عليه السلام) من (حبل الله) يمكن أنْ نرجع إلى تفسير قوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ﴾[2] فهناك علاقة بين هذا المقطع من الوصية والآية المباركة، يقول العلامة الطبرسي في تفسيره: (والحبلُ السببُ الذي يوصِلُ إلى البُغية، كالحبلِ الذي يتمسكُ به للنجاةِ من بئرٍ أو نحوها، ومنه الحبل للأمان لأنه سبب النجاة... «واعتصموا بحبل الله» أي تمسكوا به، وقيل امتنعوا به من غيره، وقيل في معنى حبل الله أقوال أحدها: إنه القرآن عن أبي سعيد الخدري وعبد الله وقتادة والسدى ويروى ذلك مرفوعاً. وثانيها: إنه دين الله الإسلام عن ابن عباس وأبي زيد. وثالثها: ما رواه أبان بن تغلب عن جعفر بن محمد (عليه السلام) قال نحن حبل الله الذي قال: «واعتصموا بحبل الله جميعاً» والأولى حمله على الجمع والذي يؤيد ما رواه أبو سعيد الخدري عن النبي (صلى الله عليه وآله

---

١. المفردات، الراغب الأصفهاني، ص١١٢.
٢. آل عمران: ١٠٣.

وسلم) أنه قال: «أيها الناس إني قد تركت فيكم حَبْلَين إنْ أخذتم بهما لن تضلوا بعدي أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ألا وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض»).[1]

إذاً فيمكن أنْ نعرف إرادة (عليه السلام) من ذلك الحبل الذي أوصى بالاعتصام به حيث أنَّ وصيته هي وصية الله تعالى في كتابه، وإنَّ استعماله لهذا المقطع المماثل للآية الكريمة فيه غاية البُعد والدقة على اقتران العترة بالقرآن الكريم، وللبلاغيّين كلام لطيف في بيان الإعجاز البلاغي لألفاظ القرآن الكريم ومنه هذه الآية، حيث ورد: (الاعتصام الالتجاء والتمسك وأنَّ معتصم بفلان، ومستعصم به، ومعتصم بحبله، ونحن في عصمة الله، وكل ما عصم به الشيء أي: حفظ وصين – فهو عصام، وللعين والصاد –إذا كانتا فاءً وعيناً للكلمة– خصائص لغوية رائعة، منها تدلان على الشدة والمنعة وما هو بمعناهما من الحفظ والتأبي ... الاستعارة التمثيلية في

---

١ . مجمع البيان، الطبرسي، ١ / ٣٥٢ـ ٣٥٦.

الاعتصام بحبل الله، فقد شبه الوثوق بالله والاعتماد على حمايته بحال مَنْ يمسكُ بحبلٍ وثيقٍ وقد تدلى من مكان عالٍ، فهو آمنٌ من انقطاعه وانبتاته، وقد أراد بالحبل هنا القرآن الكريم لقول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) القرآن حبل الله المتين لا تنقضي عجائبه، ولا يُخلق عن كثرة الرد، مَنْ قال به صدق، ومَنْ عمل به رشد، ومَنِ اعتصم به هدي إلى صراط مستقيم).[1] فهذا نزر يسير من سِرِّ استعمال الألفاظ الدقيقة في هذه الوصية الخالدة المباركة.

إضافة إلى ذلك فقد أكدت كثير من الروايات المباركة على عظمة الاعتصام بالله وآثاره ففي الحديث عن أمير المؤمنين (عليه السلام): (مَنِ اعتصمَ بالله نجّاه)[2] وقوله: (مَنِ اعتصمَ بالله لم يضرُّه الشيطان)[3] وقوله: (اعتصمْ في أحوالك كلها بالله، فإنك تعتصم منه سبحانه بمانعٍ عزيزٍ).[4]

---

١ . إعراب القرآن، محي الدين الدرويش، ينظر ص ٤٩٤- ٤٩٧.
٢ . غرر الحكم، الحكمة (٣٩٢١).
٣ . المصدر نفسه، الحكمة (٣٩٢٢).
٤ . المصدر نفسه، الحكمة (٣٩٢٠).

فهذه من أهم آثار الاعتصام بالله تعالى بالنسبة للإنسان.

إنَّ هـذه الأمور الثلاثة التي مضت (تقوى الله، عمـارة القلب بذكر الله، والاعتصام بحبل الله) هي من أعظـم المفردات التي تترجم المبادئ السامية في القرآن الكـريم حيث إنَّ الانطلاق نراه يكون من كتاب الله تعالى وإليه، لأنَّ به نصل إلى النجاة والصراط المستقيم بعد معرفتـه المعرفة الحقيقية التي تتمثل بكلام أئمة المسلمين (علـيهم السلام) الذين هم عدله[1] فهذا المقطع من الوصية الخالدة هو ترجمان لقوله تعالى في كتابه المجيـد: ﴿إِنَّ اللّهَ مَـعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿أَلاَ بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ القُلُوبُ﴾[3]، وقال تعـالى: ﴿وَاعْتَصِـمُواْ بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً﴾.[4]

إذاً فهذه المفردات لها أثرٌ بالغٌ في العلاقة بين العبد وربه وأثر ذلك على السلوك والتربية النفسية لأنَّ الإنسـان

---

١ . إشارة إلى حديث الثقلين المتواتر بين المسلمين (إني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي، ما إنْ تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً).

٢ . النحل: ١٢٨.

٣ . الرعد: ٢٨.

٤ . آل عمران: ١٠٣.

إذا وصل إلى تلك المنزلة العظيمة (التقوى) وقام بإعمار القلب بذكره واعتصم بحبل الله وتوكَّل وألجأ أمره إليه لا لسواه كان بذلك على منزلةٍ رفيعةٍ من سموِّ النفسِ وعلوِّها وتذلُلِها بين يدي الله تعالى، وهذا ما يريد أنْ يؤكد عليه أمير المؤمنين (عليه السلام) في هذا المقطع وهذا ما حاولنا بيانه بهذه العجالة في المحور الأول من بحثنا المتواضع.

المحور الثاني / تهذيب النفس وأثره على السلوك الفردي

إنَّ لتهذيب النفس مناهج متعددة يختلف بعضها عن بعض، وأفضل تلك المنهج هو المنهج القرآني الذي يعتمد الجانب المادي والروحي للإنسان والذي مصدره الخالق الحكيم الأعرف بمصالح العباد وما ينفعهم، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة في كثير من آياته المباركة، ومنها قوله تعالى بعد عدةٍ أقسامٍ يقسمُ بها في سورة الشمس: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ

خَابَ مَن دَسَّاهَا)[1] حيث جعل تزكية النفس وتطهيرها طريق الفوز والفلاح، فمَنْ يبحث عن الفلاح عليه بتزكية نفسه ومعرفة الحقيقة التي تنطوي فيها من أسرارٍ ومواهب لا تحصى، فتزكية النفس وتهذيبها هو سبيل المؤمنين الذين يبغون الوصول إلى الله تعالى عن طريق هذا الجهاد الأكبر.

وفي هذه الوصية المباركة الخالدة ملامح هذا الطريق أراد الإمام (عليه السلام) أنْ يبين ذلك من خلال المقطع الآتي: (أَحْيِ قَلْبَكَ بِالْمَوْعِظَةِ، وَأَمِتْهُ بِالزَّهَادَةِ، وَقَوِّهِ بِالْيَقِينِ، وَنَوِّرْهُ بِالْحِكْمَةِ، وَذَلِّلْهُ بِذِكْرِ الْمَوْتِ، وَقَرِّرْهُ بِالْفَنَاءِ، وَبَصِّرْهُ فَجَائِعَ الدُّنْيَا، وَحَذِّرْهُ صَوْلَةَ الدَّهْرِ وَفُحْشَ تَقَلُّبِ اللَّيَالِي وَالأَيَّامِ، وَأَعْرِضْ عَلَيْهِ أَخْبَارَ الْمَاضِينَ، وَذَكِّرْهُ بِمَا أَصَابَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ مِنَ الأَوَّلِينَ).

فلو تأملنا في هذا المقطع من الوصية لرأينا أنه (عليه السلام) يؤكد على القلب وما تنطوي فيه من حقائق ومعارف إلهية، إضافة للفطرة السليمة التي فطر الله عليها عباده، فهو بمثابة جوهرة ثمينة تحتاج إلى المحافظة

---

١. الشمس: ٧ – ١٠.

عليها مما يؤثر في صفاتها وبريقها، وآفة ذلك حب الدنيا والابتعاد عن الله تعالى.

ولتحصين القلب مما يبعده عن طهارته وسلامته يبيِّن الإمام (عليه السلام) عشرة أمور لها دور أساس في ذلك، وبالتالي لها دور كبير في تهذيب النفس والحفاظ على كُنهها، وأثر ذلك على سلوك الإنسان النظري والعملي. وهذه الأمور العشرة التي تضمنتها الوصية بهذا المقطع هي أبواب إلى القلب يجب علينا أنْ نُحكمها لتكون حصناً حصيناً للقلب، وهذه الأبواب هي:

- أولاً / الموعظة فإنَّ فيها حياة القلوب.
- ثانياً / الزهد فإنَّ فيه موت القلب عن الشهوات واللذات المحرمة.
- ثالثاً / اليقين فإنَّ فيه قوة القلب أمام كل حادثة.
- رابعاً / الحكمة فإنَّ فيها نور القلب لرؤية حقائق الأشياء.
- خامساً / الموت فإنَّ بذكره يتذلل القلب ولا يصيبه الغرور بما يملك.

– سادساً / الإقرار بالفناء فإنَّ فيه اليأس من طمع الخلود في الدنيا ولذاتها وكل شيء إلى الهلاك مصيره.

– سابعاً / البصيرة فإنَّ فيها للقلب معرفة حقيقة الدنيا وزوالها.

– ثامناً / الحذر فإنَّ فيها للقلب أمانٌ من الغفلة.

– تاسعاً / العبرة فإنَّ فيه للقلب تذكرة واعتبار بمن مضى.

– عاشراً / التذكرة فإنَّ فيه للقلب يقظته من أيِّ سهو أو غفلة.

فهذه من أعظم الأبواب للقلب ويجب علينا أنْ نراعيها شدة الرعاية لأنَّ الغفلة عن واحد منها قد يؤدي بالقلب إلى هلاكه وبُعده عن الله تعالى، فالقلب كما قال العلماء هو المرأة الصافية التي تعكس أنوار الله تعالى فيه ومنه، ويقول الشيخ محمد مهدي النراقي (قدس سره) في كتابه القيم «جامع السعادات»: (فالرحمة الإلهية بحكم العناية الأزلية مبذولة على الكل غير مضنون بها على أحد، لكن حصولها موقوف على تصقيل مرآة القلب

وتصفيتها عن الخبائث الطبيعية، ومع تراكم صدئها الحاصل منها لا يمكن أنْ يتجلى فيها شيء من الحقائق).[1]

ولنطرق هذه الأبواب باباً بعد آخر لنعرف ما تنطوي فيه من معارف وحقائق تنفع الإنسان في هذه الدنيا وتوصله إلى الفَلاح أكد عليها أمير المؤمنين (عليه السلام) فيما ورد في وصيته الخالدة التي مُلأت علماً وحكمة كما هو شأنه (عليه السلام)، حيث أنه يشير إلى أنَّ كلماته هذه قد جمعت أخبار وتجارب الأمم التي مضت ويجب علينا أنْ نتعظ من أحوالهم لأحوالنا لتكون لنا درساً نافعاً يغنينا عن التجارب والوقوع في أخطاء الماضيين، ولذا يقول (عليه السلام): (أَيْ بُنَيَّ إِنِّي وَإِنْ لَمْ أَكُنْ عُمِّرْتُ عُمُرَ مَنْ كَانَ قَبْلِي فَقَدْ نَظَرْتُ فِي أَعْمَالِهِمْ، وَفَكَّرْتُ فِي أَخْبَارِهِمْ، وَسِرْتُ فِي آثَارِهِمْ، حَتَّى عُدْتُ كَأَحَدِهِمْ، بَلْ كَأَنِّي بِمَا اِنْتَهَى إِلَيَّ مِنْ أُمُورِهِمْ قَدْ عُمِّرْتُ مَعَ أَوَّلِهِمْ إِلَى آخِرِهِمْ، فَعَرَفْتُ صَفْوَ ذَلِكَ مِنْ كَدَرِهِ، وَنَفْعَهُ مِنْ ضَرَرِهِ، فَاسْتَخْلَصْتُ لَكَ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ نَخِيلَهُ، وَتَوَخَّيْتُ لَكَ جَمِيلَهُ، وَصَرَفْتُ عَنْكَ

---

١ . جامع السعادات، الشيخ محمد مهدي النراقي، ١/ ٤٤.

مَجْهُولَهُ) فهذا هو أمير المؤمنين (عليه السلام) يبحث عن نجاة الإنسان من الغرق في هذه الدنيا، التي هي بحر عميق مظلم يحتاج الإنسان إلى مَنْ يرشده إلى الهدى، ويدلُّه على الصراط.

أولاً / الموعظة(أَحْيِ قَلْبَكَ بِالْمَوْعِظَةِ)

إنَّ الموعظة لها دورٌ وكبيرٌ وفاعل في إحياء القلب وتذكيره بالفضائل ومحاسن الأخلاق، وقد وردت روايات عدة في أثر الموعظة ودورها في تصحيح سيرة الإنسان وسلوكه، ولذا قال المفسرون عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاء لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾[1] (الوعظ والموعظة كما جاء في المفردات هو النهي الممتزج بالتهديد، إنَّ معنى الموعظة أوسع من هذا ظاهراً، نقل عن الخليل بن أحمد الفراهيدي في نفس كتاب المفردات أنَّ الموعظة عبارة عن تذكير بالنعم والطيبات المقترن برقة القلب، وفي الحقيقة فإنَّ كل

---

١ . يونس: ٥٧.

نصحٍ وإرشادٍ يترك أثراً في المخاطب ويخوِّفه من السيئات ويرغِّبه في الصالحات يسمى وعظاً وموعظة، وطبعاً ليس معنى هذا أنَّ كل موعظة يجب أنْ يكون لها تأثير بل إنها تؤثر في القلوب المستعدة).[1]

والموعظة في الحقيقة هي النصح والنصيحة للآخرين من خلال الكلمة الطيبة النافعة، بل هي كما ورد في الحقيقة (إحسانٌ إلى مَنْ تنصحه بصورة الرحمة له، والشفقة عليه، والغيرة له، وعليه فهي إحسانٌ محضٌ يصدر عن رحمةٍ ورقةٍ، يتلطف الناصح في بذل النصيحة غاية التلطف، ويتحمل أذى المنصوح ولائمته، ويعامله معاملة الطبيب العالم المشفق للمريض، وهو يتحمل سوء خلقه وشراسته ونفرته، ويتلطف في وصول الدواء إليه بكل ممكن فهذا شأن الناصح).[2]

فالإنسان بذلك يجب عليه أنْ يكون واعظاً وناصحاً لنفسه وللآخرين لأنَّ ذلك ينبع عن الحب والرحمة

---

١ . الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ٦ / ٢٦٠.

٢ . الدين النصيحة، الشيخ عباس كاشف الغطاء، ص ١٤ للتفصيل يمكن مراجعته ففيه بيان وافٍ عن النصيحة في الفقه والأخلاق وأثرها.

والإحسان، وقد أكَّد الإسلام على هذه المفردات الإنسانية التي لها دور في الإصلاح والتربية للنفس والمجتمع. ويقول الشيخ «محمد مهدي الآصفي» عند بيانه لمفهوم النصيحة في القرآن: (إنَّ النصيحة من المفاهيم الأخلاقية العظيمة والتي أكدت عليها الشريعة المقدسة من خلال القرآن والسنة الشريفة لما لها دور في التكامل النفسي والاجتماعي فقوله (عليه السلام) لولده الحسن (عليه السلام): (فإني لم آلك نصيحة وإنك لن تبلغ في النظر لنفسك – وإن اجتهدت– مبلغ نظري لك) فهو بذلك يؤكد المنهج القرآني –وهو ربيبه– في النصيحة، والتي هي من أولى أهداف الأنبياء والمرسلين في المجتمع، حيث قال تعالى على لسان نبيه: «أبلغ رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين»).[1]

ويقول أيضاً في تعليقه على هذه الآية المباركة وما يتعلق بالتحليل العلمي لكلمة النصيحة: (يصعب إعطاء تحليل علمي لهذه الكلمة لأنه لم يسبق لهذه الكلمة

---

١ . في رحاب القرآن/ الكلمة الطيبة في القرآن، الشيخ محمد مهدي الآصفي، ص١٢٧- ١٢٩.

في الدراسات الإسلامية تحليل وتحديد علمي دقيق يمكن اعتماده رغم أهمية هذه الكلمة، ودورها الواسع في شبكة العلاقات الإنسانية في الإسلام، وعليه [بعد بيانه لكلمات المفسرين للنصيحة] فتتألف النصيحة من جملتين تكاد تتفق عليها كلمات المفسرين وعلماء اللغة هما:

١. تحرّي الخير والصلاح للآخرين، وإرادة الخير لهم في القول والعمل، وتنظيم العلاقة معهم على هذا الأساس.

٢. تخليص العلاقة والتعامل مع الآخرين من كل شائبةِ سوء، وتمحيص النصيحة في العلاقة والتعامل.

وهذا التخليص والتمحيص يقع في مقابل (الغش) وهو أنْ يتظاهر الإنسان بالنصيحة للآخرين في تعامله معهم في الوقت الذي يستبطن هذه العلاقة نية السوء والشر وتسمى هذه الحالة عادة بالغش).[١]

والروايات الشريفة التي أكدت على النصيحة والحث على التمسك بها كثيرة نذكر منها ما ورد عن السكوني عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قال رسول الله

---

١. المصدر نفسه.

(صلى الله عليه وآله وسلم): (إنَّ أعظمَ الناسِ منزلة عند الله يوم القيامة أمشاهم في أرضه بالنصيحة لخلقه).[1]

وعن سفيان بن عينية قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام): (عليك بالنصحِ للهِ في خلقه، فلن تلقاه بعملٍ أفضل منه).[2] وقد أكد الإمام زين العابدين (عليه السلام) في «رسالة الحقوق» على حق الناصح والمستنصح وكيف يجب أنْ يكون دور النصيحة بينهما حيث يقول: (وحق المستنصح أنْ تؤدي إليه النصيحة، وليكن مذهبك الرحمة له والرفق به. وحق الناصح أنْ تلين له جناحك وتصغي إليه بسمعك، فإنْ أتى بالصواب حمدتَ الله عز وجل، وإنْ لم يكن وُفِّق رحمته ولم تتهمه، وعلمت أنه أخطأ ولم تؤاخذه بذلك، إلا أنْ يكون مستحقاً للتهمة، فلا تعبأ بشيء من أمره على حال ولا قوة إلا بالله).[3]

ومن الروايات التي وردت في كون الموعظة حياة القلوب قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (المواعظ حياة

---

١ . الوسائل، الحر العاملي، ١١/ ٥٩٥.
٢ . الكافي ٢ / ١٦٤.
٣ . رسالة الحقوق.

القلوب)[1]، وقال (عليه السلام): (المواعظ صقال النفوس وجلاء القلوب).[2]

ومن أهم آثار الموعظة أنها تُعد رادعاً للإنسان في كثيرٍ من المواقف عن ركوب الشهوات والمحرمات فقد روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام): (مَنِ اتَّعظ بالعِبَرِ ارتدع).[3]

ومن أراد الموعظة الكاملة الشاملة فعليه بكتاب الله تعالى لما فيه من القصص والآثار التي تعد كلها مواعظ وحكم لَمَنْ تأمَّل وتدبَّر، كما روي في ذلك عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله: (أصدقُ القولِ، وأبلغُ المواعظِ، وأحسنُ القصصِ، كتابُ الله).[4]

ونختم ما ورد في الموعظة وآثارها وأثرها في النفس بموعظة من أعظم المواعظ وأنفعها عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قوله: (كُنْ في الدنيا كأنَّكَ غريباً أو عابرَ سبيلٍ، واعددْ نفسكَ في الموتى، وإذا أصبحتَ فلا

---

١ . غرر الحكم، الحكمة (٤٥٢٣).
٢ . المصدر نفسه، الحكمة (٤٥٢٤).
٣ . المصدر نفسه، الحكمة (١٠٧٩٥).
٤ . ميزان الحكمة، ٨ / ٣٥٧٧.

تُحَدِّثْ نفسكَ بالمساء، وإذا أمسيتَ فلا تُحَدِّثْ نفسك بالصباح، وخُذْ من صحتِكَ لسُقمك، ومن شبابِكَ لهرمِك، ومن حياتِكَ لوفاتِك، فإنك لا تدري ما اسمُكَ غداً).[1] فما أعظمها من وصية للنفس في كفِّها عن الغرور وقناعتها بالتواضع.

إذاً فهذا إيجاز من أثر الموعظة والنصيحة للقلب كما أوصى أمير المؤمنين (عليه السلام) حيث جعلها حياة للقلب ولذا ورد لفظ (أحيي) ففيه تأكيد على أنَّ حياة القلب يكون بالموعظة وموته وقسوته يكون بالإعراض عنها.

ثانياً / الزهد(وَأَمِتْهُ بِالزَّهَادَةِ)

إنَّ الزهد عن الدنيا وما فيها من لذات وشهوات زائلة يُعد أيضاً من موارد الحفاظ على سلامة القلب وتهذيب النفس، ولذا يطلب الإمام أن يميت القلب بالزهد فلا تغتر بزخرف الحياة الدنيا فتلوَّث تلك النفس المطمئنة، وقد أكدت الشريعة المقدسة في نظامها المتكامل على هذا الأمر من خلال الآيات المباركة والأحاديث

---

١ . المصدر نفسه، ٨ / ٣٥٨٧ وقد عقد مؤلف ميزان الحكمة باباً في الموعظة وآثارها يمكن الاطلاع عليه لمن أراد التفصيل.

الشريفة، ومن تلك الآيات قوله تعالى: ﴿لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾[1] وقد ترجَّم أمير المؤمنين (عليه السلام) حقيقة الزهد حول هذه الآية في رواية قوله: (الزهد كله بين كلمتين في القرآن الكريم قال تعالى « لكي لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما أتاكم» ومَنْ لم يأسَ على الماضي ولم يفرح بالآتي فقد أخذ الزهد بطرفيه)[2]، وفي تفسير القمي بإسناده عن حفص ابن غياث قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) جعلت فداك فما حد الزهد في الدنيا ؟ فقال قد حده الله في كتابه فقال عزوجل: «لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ».[3] إذاً فالزهد هو عدم الندم على ما مضى من شيء وخصوصاً لذات الدنيا، وكذا عدم الفرح والسرور بما سيأتي بل التسليم المطلق لله تعالى. ومن الروايات التي امتدحت الزهد وبينت أثره على الإنسان قول النبي (صلى الله

---

١ . الحديد: ٢٣.
٢ . الأمثل، ١٨ / ٥٠.
٣ . الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي، ١٩ / ١٧٦.

عليه وآله وسلم): (ما عُبِدَ اللهُ بشيءٍ أفضل من الزهد في الدنيا)[1] وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلي (عليه السلام) (يا علي إنَّ الله قد زَيَّنك بزينةٍ لم تُزَيَّن العباد بزينة أحبّ إلى الله منها، زَيَّنَك بالزهد في الدنيا، وجعلك لا ترزأ منها شيئاً، ولا ترزأ منك شيئاً)[2] ولكي نعرف حقيقة الزهد لئلا يختلط على الإنسان مفهومها بالرهبانية وغيرها يقول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): (الزهادة في الدنيا ليست بتحريم الحلال وإضاعة المال، ولكن الزهادة في الدنيا أنْ لا تكون بما في يديك أوثق منك بما في يد الله، وأنْ تكون ثواب المصيبة إذا أنت أُصبت بها أرغب منك فيها لو أنها أُبقيت لك).[3]

فهذا هو مفهوم الزهد الذي يشير إليه أمير المؤمنين (عليه السلام) في وصيته الخالدة فإنَّ الفهم الحقيقي له يؤدي إلى الاتِّعاض والعمل به لئلا يصل غرور الإنسان بما يملك من مالٍ أو جاهٍ حيث يكون أسيراً لها فيبتعد عن الله تعالى.

---

١ . ميزان الحكمة، ٣ / ١١٦٦.
٢ . المصدر نفسه، ٣ / ١١٦٧.
٣ . المصدر نفسه، ٣ / ١١٦٨.

ثالثاً / اليقين(وَقوِّهِ بِالْيَقِين)

إنَّ اليقين من المسائل المهمة التي يجب أنْ يصل إليها السالك نحو التكامل الإنساني والأخلاقي، وهو حقيقة كما أورده المفسرون هو كما في مفردات الراغب (سكون الفهم مع ثبات الحكم)[1] واليقين هو أعلى درجات العلم بل هو القطع والجزم، فالقلب لا يمكنه أنْ يكون قوياً بالشكوك والظنون تجاه أيِّ أمرٍ بل لابد من القطع ليكون الأمر راسخاً فيه وهذا يشمل كل أمر يمرُّ علي الإنسان سواء كان عقائدياً أم فكرياً أم غيرهما، وفيه آثار كبيرة تساعد الإنسان على أنْ يقطع مراحل متعددة وهو مطمئن بأنه راسخٌ في عمله وتفكيره، وهذا اللفظ (اليقين) يدل على الاطمئنان والثبات ولقد ورد في الأثر أنه (قد استعمل العرب هذا اللفظ في التعبير عن السكون والاستقرار، فقولهم فلانٌ ذو يقين في هذا الأمر أو ذاك أي إنه مستقر العقيدة، ثابت الرأي على صحة الحال وصدق الواقع، حتى لكأنه يعاين ما يهمه ويشاهد فلا يضطرب خاطره، ولا تقلق أفكاره، قال

---

١ . المفردات ص٥٧٧.

الجوهري: اليقين العلم وزوال الشك)[1] وقد أكدت كثير من الروايات هذا المعنى والحث عليه، فمن الروايات ما جعلت اليقين هو أعز شيء إذا وصل الإنسان إليه، ففي الحديث عن الإمام الصادق (عليه السلام): (إنَّ الإيمان أفضل من الإسلام، وإنَّ اليقين أفضل من الإيمان، وما من شيء أعز من اليقين)[2] وأهمية ذلك ظاهرة بأدنى تأمل لما في اليقين من أثر على العقيدة، وإن الإمام (عليه السلام) في وصيته يؤكد على اليقين ويجعل فيه سر قوة القلب لما تترتب عليه من آثار كبيرة، حيث إنَّ من ثمرة اليقين الصبر كما ورد عنه (عليه السلام): (الصبر ثمرة اليقين)[3] ومن ثمرته الإخلاص في العمل فقد ورد عنه (عليه السلام): (سبب الإخلاص اليقين)[4] ومن ثمرته الزهد كما ورد عنه (عليه السلام): (اليقين يثمر الزهد)[5] ومن ثمرته التوكل كما ورد في قوله (عليه

---

١ . مصطلحات قرآنية، الدكتور صالح عضيمة، ص٤٤٢.
٢ . الكافي ٢ / ٥١.
٣ . غرر الحكم، الحكمة (٦٢١٧).
٤ . المصدر نفسه، الحكمة (٧٤٦).
٥ . المصدر نفسه، الحكمة (٧٣٥).

السلام): ((التوكل من قوة اليقين)[1]، ومن ثمرته الرضا كما ورد عنه (عليه السلام): (الرضا ثمرة اليقين).[2]، ومن ثمرته تهوين المصائب فقد ورد عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): (إنَّ الله بحكمته وجلاله جعل الرَّوْحَ والفرجَ في الرضا واليقين).[3]

فالإنسان الذي يحصِّن نفسه باليقين يقوى بذلك قلبه وويستعد لتلقي آفاق المعرفة من خلال ثمرة ذلك اليقين ولذا عبَّر الإمام (عليه السلام) بلفظ (القوة) حيث باليقين يصل القلب إلى حقيقة الأشياء عن طريق ذلك النور الذي يقذفه الله تعالى في قلب صاحبه بعد أنِ استعدَّ لذلك وقدَّم مقدمات الاستقبال والمعرفة للحقائق.

فإذا كان اليقين من ثماره وآثاره على النفس هذه الصفات: الصبر والإخلاص والزهد والتوكل والرضا وتهوين المصائب كما ورد في الروايات فكيف ستكون قوة ذلك القلب الذي يتحصن بهذه القوى العظيمة، وكيف ستكون آثار هذه الصفات على سلوك هذا

---

١ . المصدر نفسه، الحكمة (٣٨٤٨).
٢ . المصدر نفسه، الحكمة (١٨٢٣).
٣ . ميزان الحكمة، ٨ / ٣٧٢.

الإنسان، ولذلك لو تأملنا في سيرة الأئمة (عليهم السلام) والعارفين لهذه الحقوق لرأينا آثار تلك الصفات في أقوالهم وأفعالهم ظاهرة ومؤثرة فيهم، وعلى هذا فقول أمير المؤمنين (عليه السلام) (وقوِّهِ باليقين) يبين لنا سر تلك القوة أين تكمن.

رابعاً / الحكمة (وَنَوِّرْهُ بِالْحِكْمَةِ)

إنَّ الحكمة من الأمور التي ندبت إليها الشريعة المقدسة طباقاً لما تسالم عليه العقلاء من أنَّ الحكمة تورث صاحبها مكانةً ومنزلةً وتجعله على بينةٍ من كل خطوة يسير باتجاهها بل يعرف عاقبة الطريق الذي يسر فيه، فالحكمة عُرِّفت هي: (إصابة الحق بالعلم والعقل، فالحكمة من الله تعالى معرفة الأشياء وإيجادها على غاية الإحكام، ومن الإنسان معرفة الموجودات وفعل الخيرات)[1]، وورد في تفسير قوله تعالى: (يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاء وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ)[2] (إنه قد ذكر لكلمة

---

١ . المفردات ص١٣٢.
٢ . البقرة: ٢٦٩.

(الحكمة) معانٍ كثيرة منها (المعرفة والعلم بإسرار العلم) ومنها (العلم بحقائق القرآن) و (الوصول إلى الحق بالقول والعمل) و (معرفة الله تعالى) و (أنها النور الإلهي الذي يميز بين وساوس الشيطان وإلهامات الرحمن). الظاهر هو أنَّ الحكمة تأتي بالمعنى الواسع حيث تشتمل جميع هذه الأمور بما فيها النبوة التي هي نوع من العلم والاطلاع والإدراك فهي في الأصل أخذت من مادة (حكم) -على وزن حرف- بمعنى المنع وبما أنَّ العلم والمعرفة والتدبير تمنع الإنسان من ارتباك الإعمال الممنوعة والمحرمة فلذا يقال عنها أنها حكمة).[1]

والروايات المباركة قد أكدت هذه المعاني وبيَّنت آثار الحكمة على الإنسان، وأنها نور الحقيقة ينير للقلب حقائق الأمور لكي يُحكم أمره تجاهها، فقد ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قوله: (الحكمةُ روضةٌ العقلاء، ونزهةُ النبلاء)[2]، ومن وصية لقمان لابنه في الحكمة: (يا بني تعلَّم الحكمة تشرف، فإنَّ الحكمة

---

١ . الأمثل، ٢ / ٢١٦.
٢ . غرر الحكم، الحكمة (٦٠٢).

تدل على الدين، وتشرِّفُ العبدَ على الحر، وترفعُ المسكينَ على الغني، وتقدمُ الصغيرَ على الكبير)[1]، ومن آثار الحكمة على الإنسان أنها توصله إلى خشية الله تعالى ومخافته وطاعته والإقبال عليه قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): (رأسُ الحكمةِ مخافةُ الله)[2] إلى غير ذلك مما ورد من الروايات في معنى الحكمة وأثارها ولذا قال أمير المؤمنين (ونوِّره) وكأنها –الحكمة– هي النور الذي يبصرُ به القلب حقائق الأشياء وبها يرى الآخرة وما يجب عليه من الاستعداد له وهي كذلك وقد أفادت التجارب ذلك.

خامساً / ذكر الموت (وَدَلِّلْهُ بِذِكْرِ اَلْمَوْتِ)

بعد أنْ بيَّنَ الإمام (عليه السلام) في الفقرات الأربع ما يجعل القلب ذا مكانةٍ رفيعةٍ وعاليةٍ من حيث إحيائه وتقويته وتنويره فإنه يؤكد عليه بعد ذلك أنه أيضاً يحتاج إلى أنْ يتذكر النهاية الحتمية لكل مخلوقٍ لئلا يُصاب ذلك القلب بالغرور والانخداع بما يملكه من تلك الصفات العظيمة، حيث أنه من الممكن أنْ يصل إليه

---

١ . ميزان الحكمة، ٢ /٦٧٠.
٢ . المصدر نفسه، ٢ / ٦٧١.

التكبر والكبرياء ولو مع تخلقه بتلك الصفات، ولكن مع اعترافه بالموت وتذلُّله بذكره دائماً فإنه سوف لا ينخدع بل يضل مشغولاً بذلك المصير المحتوم الذي سينقله من هذا العالم الضيق المحدود إلى عالَمٍ لا يمكن للعقل الإنساني أنْ يدرك حقيقته، فالإنسانُ يحتاج دائماً إلى أنْ يتفكَّر في هذه الحقيقة التي تبين خاتمة وجوده ليكون على يقينٍ في أعماله وتفكيره، وذكر الموت له أثرٌ بليغٌ على صلاح الإعمال في الدنيا وقد أكدت روايات كثيرة على هذه الحقيقة التي يذكرها أمير المؤمنين (عليه السلام) في وصيته، ونذكر بعض ما ورد في تذكره فقط فقد روى عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): (أفضلُ الزهدِ في الدنيا ذكرُ الموت، وأفضلُ العبادةِ ذكرُ الموت، وأفضلُ التفكيرِ ذكرُ الموت، فمَنْ ذكرَ الموتَ وجدَ قبرهُ روضةً من رياضِ الجنة)[1]، وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (أكثروا ذكرَ الموتِ فما من عبدٍ أكثرَ ذكرهُ إلا أحيى اللهُ قلبَهُ وهوَّنَ عليه الموت)[2]، وقال (صلى الله عليه

---

١ . المصدر نفسه، ٧ / ٢٩٦٤.
٢ . المصدر نفسه، ٧ / ٢٩٦٥.

وآله وسلم): (أكثروا ذكرَ الموتِ فإنه يمحِّصُ الذنوبَ، ويزهِّدُ في الدنيا، فإنْ ذكرتموهُ عند الغنى هدمَهُ، وإنْ ذكرتموهُ عند الفقرِ أرضاكُمْ بعيشكم)[1] إذاً فذكر الموت له دور في إحياء القلب والتفكير والزهد والعمل الصالح كما أكدت عليه الروايات وهذا ما يبغي الإمام (عليه السلام) من وصيته لما في ذلك من الآثار، فإذا تذلل القلب لم تُصبه أي لحظة تكبر وغرور.

سادساً / الإقرار بالفناء (وَقَرِّرْهُ بِالْفَنَاءِ)

وهذه الفقرة لها علاقة بالتي سبقتها من حيث العموم، ولكن من حيث الخصوص أنَّ الأولى هو التذكُّر بالموت لكي لا يُنسى ذلك المصير، وأما في هذه الفقرة فنريد من القلب إضافة لذكره أو تثبيتاً لذلك الذكر وهو أنْ نجعل القلب يقرُّ بذلك إقراراً واقعياً لا ذكراً فقط، فقد نرى مَنْ يذكر الموت وقلبه متذلل به ولكنه يحتاج إلى التصديق والإقرار في العمل ليستحكم الأمر تجاه هذه الحقيقة، ولذا عبر (عليه السلام) بلفظ (الفناء) أي ليس أنت وحدك أو ممن هو معك سيموت بل كل ما في هذا

---

١ . المصدر انفسه.

الوجود من اللذات والنعم و.و. فمصيره إلى الفناء فهل يأمل الإنسان بعد التصديق بذلك أنْ يميل إلى الدنيا ويبحث عن خلود له فيها.

لذا فإنه (عليه السلام) يؤكد على هذه الحقيقة (الموت والفناء) في عدة موارد من هذه الوصية نفسها حيث يقول (عليه السلام) في مورد آخر: (واعلم أنك خلقت للآخرةِ لا للدنيا، وللفناءِ لا للبقاء، وللموتِ لا للحياة ...) وقال أيضاً مذكراً بذلك ومبيناً حال الدنيا تجاه هذه الحقيقة: (يا بني أكثر من ذكرِ الموتِ، وذكرِ ما تهجم عليه وتفضي بعد الموت إليه .. وإياك أنْ تغتر بما ترى من إخلاد أهل الدنيا إليها) وأما الروايات التي وردت في الحث على ذلك فهي كثيرة ويمكن مراجعتها في كتب الأحاديث.[1]

سابعاً / بصره فجائع الدنيا(وَبَصِّرْهُ فُجَائِعَ الدُّنْيا)

إنَّ الإنسان لو ترك بلا موعظةٍ وبلا بلاءٍ لأصابه الغرور والتكبر، وما يتبعهما من المساوىء على الأخلاق، فلكي لا يمر الإنسان بهذه المرحلة يجب عليه أنْ يتبصَّر في

---

١ . للتفصيل في الروايات في هذا الباب يراجع ميزان الحكمة باب (الموت) ص ٢٩٥٣.

حقيقة هذه الدنيا وأنها قد تفجع الإنسان في آنٍ ما كما قد فجعت من قبل ذلك، فالدنيا لا يدوم حالها لأحد فكم غدرت بأنبياء الله تعالى وأوليائه، فالدنيا لا أمان فيها فلعل قريبٌ قد يفرح ويُسرُّ بفاجعة أخيه وهذا طبعاً لا يكون إلا بالجهل والعدوان، وفي هذا يروى: (إنَّ رجلاً مَرَّ على جماعة يريدون دفن ميتٍ لهم فاطَّلعَ عليهم فأخذته العبرة فبكى ثم انشد مجموعة أبيات قال في أحدها:

يبكي عليه الغريبُ لا يعرِفُهُ وقرابَتُهُ في الحيِّ مسرورون

فقال له أحد الحاضرين أَوَ تعرف هذا الميت ؟ فأجاب: لا. ثم سارعه بسؤالٍ آخرٍ: وهل تعرف قائل هذه الأبيات الشعرية ؟ قال: لا أيضاً. فقال له: إنه هذا الميت الذي بكيته أنت الغريب، ولكن انظر ابن عمه ذاك فهو مسرور بوفاة هذا الميت لأنه الوحيد الذي سيرثه).[1]

---

١ . الأخلاق عنوان الإيمان ومنطق التقدم، السيد محمد تقي المدرسي ص١٢.

فعلى الإنسان أنْ يعتبر من هذه المواقف ويريد الإمـــام (عليه السلام) في وصيته أنْ يشير إلى ذلك.

ثامناً / صولة الدهر(وَحَذِّرْهُ صَوْلَةَ الدَّهْرِ وَفُحْشَ تَقَلُّبِ اللَّيَالِي وَالأَيَّامِ)

وهذا أمرٌ آخرٌ يجب على الإنسان أنْ يتأمَّل فيه ليتبصَّـــر في حقيقة الدنيا ويكون على بينـــة منـــها دون الغفلـــة والغرور بها، حيث أنَّ للدهر صولات إذا أقبلت علـــى المرء أَنْسَته ما في الدنيا من لذةٍ ونعمةٍ فهذا هـــو حـــال الدنيا وتقلباتها، وخصوصاً إذا تسلَّطَ الظـــالمون علـــى المؤمنين فإنهم يذيقونهم من العذاب الألـــيم، والتـــأريخ مليء بالعبر والمواعظ بذلك، فالدهر ليس له أمانُ فلعلَّ الأيام والليالي تتبدل أحوالها وتُري الإنسان ما لا يسره في هذه الدنيا، ولذا وردت روايات كثيـــرة تحذر مـــن الركون والاطمئنان للدنيـــا، فقد ورد في الحديـــث عن أميـــر المؤمنين (عليه السلام): (انظروا إلى الدنيا نظـــر الزهد المفارق، فإنها تزيل الثـــاوي الســـاكن، وتفجـــع المترف الأمن، لا يرجى منها ما ولَّى فأدبر، ولا يُدرى ما

هو آتٍ منها فيُستنظر)[1]، وقال أيضاً (عليه السلام): (اجعل الدنيا شوكاً، وانظر أين تضع قدمك منها، فإنَّ مَنْ ركنَ إليها خذلته، ومَنْ أَنسَ فيها أوحشته، ومَنْ يرغب فيها أوهنته)[2]، وقد وصف النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) هذه الدنيا بقوله: (الدنيا سجنُ المؤمنِ وجنةُ الكافر)[3] والأحاديث في ذلك كثيرة ولذا يحذر الإمام من صولاتها التي قد تغدر من غير استعدادٍ لها.

تاسعاً / عرض أخبار الماضين (وَأَعْرِضْ عَلَيْهِ أَخْبَارَ المَاضِينَ)

إنَّ في الاتعاظ بأخبار الماضين لَدرسٌ كبيرٌ للإنسان الذي يعقل هذا الأمر ويتأمل ويتدبر في حقيقته دون الغافل عنه، بل إنَّ المؤمن يجب أنْ يكون على يقظةٍ من هذا، وهو الذي تنفع فيه المواعظ والذكرى دون غيره قال تعالى: (وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ)[4] ولذا يجب علينا أنْ نستذكر أقوال الأمم السالفة أين حَلَّ بهم الدهر، وخصوصاً الطغاة والظلمة والمتكالبين على

---

١ . ميزان الحكمة، ٢ / ٩٠٥.
٢ . المصدر نفسه.
٣ . المصدر نفسه، ٢ / ٩٠٨.
٤ . الذاريات: ٥٥.

الدنيا فلم يخرجوا من هذه الدنيا بسوى قطعة بيضاء وسيقفون غداً أمام الحكم الذي لا يحتاج إلى شاهد لأنه هو الحاكم الشاهد قال تعالى: (كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ * وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ * كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ * فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاء وَالأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ)[1] إضافة إلى سيرة أولئك الطغاة أمثال فرعون وقارون وغيرهما، فلنستمع إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) وهو يحث ذلك: (ألستُمْ في مساكِنِ مَنْ قبلكم أطول أعماراً، وأبقى آثاراً، وأبعد آمالاً، وأعدَّ عديداً، وأكثف (أكثر) جنوداً، تعبَّدوا للدنيا أيَّ تعبدٍ، وأثاروها أيَّ إيثارٍ، ثم طعنوا عنها بغيرِ زادٍ مبلّغ، ولا ظهرٍ قاطعٍ).[2]

عاشراً / التذكر بما أصاب الأمم (وَذَكِّرْهُ بِمَا أَصَابَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ مِنَ الأَوَّلِينَ)

---

١ . الدخان: ٢٥ ـ ٢٩.

٢ . نهج البلاغة، سرح محمد عبده، الخطبة (١٠٧).

إنَّ تذكير الإنسان بآثار الماضين تجعله أيضاً يتفكَّر في حقيقة وجوده في الحياة الدنيا وأنه في دارِ سفرٍ لا دار استقرار فيها إلى الأبد، بل لابد من أنْ يرحل عنها يوماً، ولذا قد أكد القرآن الكريم على هذه الحقيقة في كثيرٍ من آياته ومنها قوله تعالى: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[1] قال الراغب في المفردات: (إنَّ الحيوان الحقيقي السرمدي الذي لا يفنى لا ما يبقى مدة ثم يفنى)[2].

وورد في تفسير الأمثل عند تفسير هذه الآية: (فالقرآن في هذا الصدد يشرح حال الدنيا وحال الآخرة مبيناً أنَّ الحياة الدنيا هي نوعٌ من الانشغال واللعب، يجتمع الناس فيها وينشدون إلى تصورات قلوبهم وأنفسهم، وبعد أيام يتفرقون ويختفون تحت التراب ثم يطوى كل شيء ويغدو في سلة النسيان، أما الحياة الحقيقة فهي الحياة الآخرة فحسب لو كان

---

١. العنكبوت: ٦٤.
٢. الراغب ص١٤٥.

الإنسان يعرف ذلك وكان أهلاً للتـــدقيق والتحقيـــق وبديهي أنَّ القرآن لا يريد أنْ ينسى وينفي مواهب الله في هذه الدار الدنيا، بل يريد أنْ يجسد قيمة هذه الـــدنيا بالقياس إلى الآخرة قياساً صريحاً واضحاً، وإضـــافة إلى ذلك فإنه ينـــذر الإنســـان لئلا يكـــون أســـيراً لهـــذه المواهب، بل يكون أميراً عليها)[1]، فهذه الحقيقة التي يريد أنْ يؤكد عليها الإمام (عليه السلام) بأنْ لا يغترَّ الإنسان بما في الدنيا، بل كل ما فيها زائـــل، وأنهـــا دار بـــلاء وامتحان لأجل الخلود في الدار الحقيقة، وفي كل ذلـــك إشارة إلى الاستعداد للآخرة والنظر إليها نظرة الـــيقين، كما ينظر المسافر إلى بلده متى يرجع إليه، وهذا له أثـــرٌ ودورٌ كبيرٌ في عدم الركون إلى الشيء المؤقت الزائـــل مقابل الأمر الخالد، بل له أثر في سلوكِ الفرد في الـــدنيا مع نفسه وربه والآخرين، فلتتأمـــل في قولـــه (عليـــه السلام): (وسِرْ في ديارِهِمْ .. وكأنَّك عن قليـــلٍ قـــد صرتَ أحدهم) والتأريخ يبيِّن لنا أمثلة كثيرة عن هـــذه الحقيقة، بل كل إنسانٍ يمكنه أنْ يصل إلى هذه الحقيقـــة

---

١ . ينظر الأمثل، ١٢ / ٣٢٨.

بأدنى تأملٍ في وجوده ومَنْ كان قبله، ولذا ورد في بيان هذه الحقيقة: (والحق لا قيمة لِلحضات عمرِ الإنسانِ في الدنيا الزائلة بالقياسِ بعمرِ الإنسان اللامتناهي والخالد في الجنة ... وطالما يوسوس الشيطان الرجيم في عقل الإنسان لإبعاده عن حقيقةِ الخُلد وإلهائِهِ بزيفِ لذيذِ الدنيا الزائل، فهو يسوِّلُ له الحرص المادي لنيل المسكن المنيف ثم توسعته ليكون قصراً ثم جمع المال واقتناء الذهب والفضة، غير أنَّ حقيقة اللذائذ الدنيوية تتضح بعد زوال أصحابها فلنذهب إلى (الأهرامات) في مصر وإلى آثار الفينيقيين في (بعلبك) أو إلى (نحت جمشير) في مدينة شيراز الإيرانية أو إلى (إيوان كسرى) ناحية المدائن ببغداد....)[1] فالسيرُ في تلك المدائن والآثار يُعَرِّف الإنسانَ حقيقة الدنيا وأين سُكان تلك المساكن التي غَدَت اليوم أثراً، ولنتفكَّر في الآخرة ونرى أين يكمن الخلود الحقيقي.

وهذا الأمر له من العبرة النافعة لكل إنسانٍ يتفكَّر في حقيقة الدنيا وحقيقة الوجود ولذا يذكِّر الإمام (عليه

---

١ . على أبواب الآخرة، السيد محمد تقي المدرسي، ص ٩١.

السلام) بهذا الأمر في هذه الوصية الخالدة لنكون على بينةٍ من ذلك لما فيه من الأثر على التربية والسلوك الفردي والجماعي.

إننا من خلال ما تقدم في هذه الفقرات العشر التي تأكد على الاهتمام بقلب الإنسان والحفاظ عليه من كل ما يلوثه ويُبعده عن الله تعالى إلى نتيجة أساسية واحدة وهي اليقين بالآخرة والاستعداد والعمل لها دون الركون إلى الدنيا والغرور بما فيها، وهذا الأمر له عظيم الأثر على سلوك الإنسان وتربيته تربية صالحة تظهر آثارها على نفسه وعلى المجتمع، فتزكية النفس وتطهيرها هو سبيل الإنسان المؤمن الذي يريد الوصول إلى ربه وصولاً مُشَرِّفاً له، فالإمام (عليه السلام) في هذه الوصية أكثر اهتمامه ووصيته كان في مجال التأكيد على الآخرة والاستعداد لها، ولذا يعقب تلك الفقرات التي كان الأمر يتعلق فيها بالقلب فيقول بعد أنْ ينتهي من وصيته حول القلب وكيفية صلاحه وإصلاحه:

– فأصلح مثواك ولا تبع آخرتك بدنياك ..

– يا بني إني قد أنبأتك عن الدنيا وحالها وزوالها وانتقالها ..

– واعلم أنَّ أمامك طريقاً ذا مسافةٍ بعيدةٍ ومشقةٍ شديدة ..

– واعلم أنك خُلقت للآخرة لا للدنيا وللفناء لا للبقاء وللموت لا للحياة ..

– يا بني أكثر من ذكر الموت وذكر ما تهجم عليه وتفضي بعد الموت إليه ..

– وإياك أنْ تغتر بما ترى من إخلاد أهل الدنيا إليها وتكالبهم عليها ..

وغير ذلك من الفقرات التي تؤكد على الآخرة والاستعداد لها وهو أصل المعرفة والعمل لصالح والنفس الزاكية.[1]

---

١ . لم نفصل جميع فقرات الوصية فيما له أثر على السلوك الفردي في هذا المحور وذلك للإطالة وحاجة الأمر لأكثر مما هو بحث مختصر ولذا اقتصرنا على بعض ما ورد ولعل فيه بيان واف لمن أراد أنْ يتخذ منه منهجاً لإصلاح نفسه وأحواله..

المحور الثالث / العلاقة بين الإنسان والمجتمع وأثر التربية في ذلك

في هذا المحور نحاول أنْ نبين بعض مفردات هذه الوصية الخالدة التي تؤكد على دور الإنسان في المجتمع بعد أنْ مَرَّ بتلك المرحلتين المهمتين مرحلة التربية النفسية مع الله تعالى ومرحلة تهذيب النفس والذات وتزكيتها، حيث أنه بعد ذلك سوف يكون محور عمله في المجتمع ليدعو من خلال هذه العلاقة إلى بناء المجتمع والمحافظة على العلاقات الاجتماعية التي لها دور في بناء مجتمعٍ صالحٍ تبرز فيه آثاره الكريمة، حيث أنَّ الشريعة الإسلامية لا تدعو إلى تهذيب النفس فقط دون العمل من أجل تهذيب الآخرين، ولذا نرى كثيراً من الآيات المباركة تحث على العمل تحت الرعاية الإلهية، وهذا ما يخص العمل ضمن نطاق الشريعة عما سواه ، حيث نرى آثار الروح والمحبة والإيثار فيه دون سواه قال تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾[1]، وعلينا أنَّ نؤمن بأنَّ سلامة الإنسان بسلامة خطوط العلاقة

---

١ . التوبة: ١٠٥.

والارتباط بالآخرين، وكلما تكون العلاقة أسلم يكون حال الإنسان أفضل وأسلم، ولذلك فإنَّ لشبكة العلاقات التي تربط الفرد بالآخرين أهمية كبيرة في سلامة الإنسان واستقامته وسعادته حتى إننا نستطيع أنْ نقوِّمَ الإنسان بعلاقاته وصلاته وارتباطاته، فإذا كانت علاقات الإنسان بالآخرين على أساس العدل والإنصاف والتعاون والإيثار والمحبة كان الإنسان صاحب هذه العلاقات سعيداً مستقيماً في حياته .. فكلما كان الإنسان صالحاً تكون علاقته بالآخرين صالحة وقائمة على أسس صحيحة وأخلاقية، وكلما يكون الإنسان فاسداً ينطوي على نية السوء وسوء السريرة فإنَّ علاقاته بالآخرين أيضاً تتصف بالخبث والمكر والسوء العدوان.

والعلاقة في هذا الحور يمكن بيانها إجمالاً ضمن نقاط عشرة:

– أولاً: الإخوة والصداقة والتعامل معهما . (احْمِلْ نَفْسَكَ مِنْ أَخِيكَ)

– ثانياً: معاشرة أهل الخير وهجر أهل الشر. (قَارِنْ أَهْلَ اَلْخَيْرِ تَكُنْ مِنْهُمْ وَبَايِنْ أَهْلَ اَلشَّرِّ تَبِنْ عَنْهُمْ)

– ثالثاً: الرزق والابتعاد عن الحرام. (بِئْسَ اَلطَّعَامُ اَلْحَرَام)

– رابعاً: اجتناب الظلم. (وَظُلْمُ اَلضَّعِيفِ أَفْحَشُ اَلظُّلْمِ)

– خامساً: القناعة بالكفاف. (وَلاَ تُخَاطِرْ بِشَيْ ءٍ رَجَاءَ أَكْثَرَ مِنْهُ)

– سادساً: التحذير من الخصومة واللجاح. (وَإِيَّاكَ أَنْ تَجْمَحَ بِكَ مَطِيَّةُ اللَّجَاجِ)

– سابعاً: حسن الجوار. (سَلْ عَنِ الرَّفِيقِ قَبْلَ الطَّرِيقِ وَعَنِ الجَارِ قَبْلَ الدَّارِ)

– ثامناً: الحفاظ على المرأة. (وَاكْفُفْ عَلَيْهِنَّ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ بِحِجَابِكَ إِيَّاهُنَّ)

– تاسعاً: صلة الرحم والعشيرة. (وَأَكْرِمْ عَشِيرَتَكَ فَإِنَّهُمْ جَنَاحُكَ الَّذِي بِهِ تَطِيرُ)

– عاشراً: التمسك بالحق. (مَنْ تَعَدَّى الحَقَّ ضَاقَ مَذْهَبُهُ)

فهذه عشر فقرات لها دورٌ وأثرٌ في التربية الاجتماعية ويجب على الإنسان الصالح والمصلح أنْ يتحلى بها ليكون قدوة ودعية إليها فإنَّ فيها مكارم الأخلاق التي يجب أنْ يتحلى بها المؤمن لما ورد في الحديث عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): (أفضلُكم إيماناً أحسنكم أخلاقاً)[1] وقوله (صلى الله عليه وآله وسلم): (خيارُكم أحسنكم أخلاقاً الذين يَألفون ويُألفون)[2]، ونحاول في هذه السطور أنْ نعلق على هذه الفقرات بإيجازٍ شديدٍ لتتبين لنا الرؤية الكاملة لآثار هذه الوصية الخالدة المباركة وما فيها من نظامٍ اجتماعيٍّ وفرديٍّ متكاملٍ نحو الخير والصلاح.

أولاً: الإخوة (احْمِلْ نَفْسَكَ مِنْ أَخِيكَ عِنْدَ صَرْمِهِ عَلَى الصِّلَةِ وَعِنْدَ صُدُودِهِ عَلَى اللُّطْفِ وَالمُقَارَبَةِ وَعِنْدَ جُمُودِهِ عَلَى البَذْلِ وَعِنْدَ تَبَاعُدِهِ عَلَى الدُّنُوِّ وَعِنْدَ شِدَّتِهِ عَلَى اللِّينِ وَعِنْدَ جُرْمِهِ عَلَى العُذْرِ حَتَّى كَأَنَّكَ لَهُ عَبْدٌ وَكَأَنَّهُ ذُو نِعْمَةٍ عَلَيْكَ)

وردت في هذه الوصية الخالدة عدة فقرات تؤكد على مفهوم الإخوة، بل نجد أعظم المفردات في الحث على

---

١ . تحف العقول، الحسن بن شعبة الحراني، ص٣٨.
٢ . المصدر نفسه.

هذه العلاقة ما لم تتجسد في غيرها من الكلمات فهي مصداق لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[1] فعلينا أنْ نتأمل في هذه الفقرات لنرى كيف يصوِّرُ لنا ربيب القرآن (عليه السلام) معنى الإخوة من خلال التأمل في هذه الفقرات التي لها علاقة بالأخوة وروابطها وآثارها، ففي هذه الكلمات تتجلى أعلى درجات الكمال في العلاقة الأخوية، وإنَّ الشريعة المقدسة في كثيرٍ من أبوابها قد حثت على هذه العلاقة لما فيها من التكامل الذاتي للنفس والمجتمع، فقد ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام): (المؤمنُ أخو المؤمنِ عينه ودليله، لا يخونه، ولا يظلمه، ولا يغشه، ولا يَعده عدة فيخلفه)[2] وورد في الحديث عن الإمام الباقر (عليه السلام): (مَنِ استفادَ أخاً في اللهِ على إيمانٍ ووفاءٍ بإخائه طلباً لمرضاة الله فقد استفاد شعاعاً من نور الله، وأماناً من عذاب الله، وحجة يفلج بها يوم القيامة، وعزاً باقياً وذكراً ناميا)[3]، وقال الصادق (عليه السلام): (لا تتبع أخاكَ بعد القطيعة

---

١ . الحجرات: ١٠.
٢ . الكافي ٢ / ١٦٦.
٣ . تحف العقول ص ٢١٣.

وقيعةً فيه، فيسد عليه طريق الرجوع إليك، فلعل التجارب ترده عليك)[1] وورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام): (الإخوان صنفان؛ إخوان الثقة وإخوان المعاشرة، فإذا كنت من أخيك على حد الثقة فابذل له مالك وبدنك، وصافِ مَنْ صافاه، وعادِ مَنْ عاداه، واكتم سرَّه وعيبه، وأظهر منه الحسن، واعلم أيها السائل إنهم أقلُّ من الكبريت الأحمر)[2] وفي الإخوة الحقيقة يقول أمير المؤمنين (عليه السلام): (إنَّ أخاك حقاً مَنْ غفرَ زَلَّتك، وسَدَّ خِلَّتك، وقَبِل عذرك، وسترَ عورتك، ونفى وَجَلَك، وحقق أملك)[3] وفي ترك عتاب الأخ يقول أمير المؤمنين (عليه السلام): (احتمل أخاك على ما فيه، ولا تكثر العتاب فإنه يورث الضغينة، واستعتبْ من رجوتَ عتابه)[4]، وأما خير الإخوان فيصفهم أمير المؤمنين (عليه السلام) بقوله: (خيرُ إخوانِكَ مَنْ دعاكَ إلى صدقِ المقالِ بصدقِ

---

١ . ميزان الحكمة ٤١/١.
٢ . ميزان الحكمة، ١ / ٤٣.
٣ . غرر الحكم، الحكمة (٩٦٤٥).
٤ . ميزان الحكمة، ١ / ٤٥.

مقاله، وندبك إلى أفضلِ الإعمالِ بحسن عمله)[1]، وكذا ما ورد عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قوله: (خيرُ إخوانك مَنْ أعانك على طاعة الله وصَدَّك عن معاصيه، وأمرَكَ برضاه)[2]، وأما في اختيار الصديق فيقول أمير المؤمنين (عليه السلام): (الصديقُ مَنْ كان ناهياً عن الظلم والعدوان، معيناً على البر والإحسان)[3]، وأما حدود الصداقة فيبيِّنها الإمام الصادق (عليه السلام) فيقول: (لا تكون الصداقة إلا بحدودها، فمَنْ كانت فيه هذه الحدود أو شيء منه وإلا فلا تنسبَّه إلى شيءٍ من الصداقة، فأولها: أنْ تكون سريرته وعلانيته لك واحدة, والثانية: أنْ يرى زينكَ زينَهُ وشينكَ شينَهُ. والثالثة: أنْ لا تُغَيِّره عليك ولايةٌ ولا مالٌ. والرابعة: لا يمنعك شيئاً تنالُ مقدرته. والخامسة: وهي تجمع هذه الخصال أنْ لا يُسلمك عند النكبات)[4].

---

١ . غرر الحكم، الحكمة (٩٥٣٥).
٢ . ميزان الحكمة ١ / ٤٦.
٣ . غرر الحكم، الحكمة (٩٤٧٧).
٤ . ميزان الحكمة، ١ / ١٥٨٩.

فهذه بعض الأحاديث المباركة التي تأسس لهذه العلاقات الاجتماعية، ولا يخفى أنَّ الإمام السجاد (عليه السلام) في رسالته الحقوقية يبين حق هذه العلاقة فيقول: (وأما حق الصاحب فأنْ تصحبَهُ بالفضلِ ما وجدتَ إليه سبيلاً، وإلا فلا أقلَّ من الإنصاف، وأنْ تكرمَهُ كما يكرمكَ، وتحفظَهُ كما يحفظك، ولا يسبقك فيما بينك وبينه إلى مكرمةٍ، فإنْ سبقَكَ كافأتَهُ، ولا تقصِّر به عما يستحق من المودة، تلزمْ نفسكَ نصيحتَهُ وحياطتَهُ ومعاضدتَهُ على طاعةِ ربه، ومعونتَهُ على نفسهِ فيما يهمُّ به من معصيةِ ربه، ثم تكون [عليه] رحمةً ولا تكون عليه عذاباً ولا قوة إلا بالله).[1]

ولذا حث الإسلام في كثير من تشريعاته على المحبة والتعاون والإخوة والسعي في قضاء حوائجهم، ففي الحديث عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال: مَنْ كانَ في حاجةِ أخيه المسلم كان الله في حاجته. حيث يعقِّب الشيخ «ناصر مكارم الشيرازي» على هذا الحديث في كتابه «دروس في الحياة ص» بقوله: (يعتقد

---

١ . رسالة الحقوق.

أغلب الأفراد إنَّ الانهماك في حل مشاكل الآخرين يصده عن التقدم في حياته، والحال لا ينسجم هذا الأمر والمنطق الإسلامي، فقد أشار الحديث المذكور إلى أنَّ الإنسان إذا سعى لحل مشاكل الناس وتلبية حاجاتهم فإنَّ الله سبحانه الذي تفوق قدرته جميع القدرات سيعين ذلك الإنسان على حل مشاكله...)

فهذا جزء مما يتعلق بوصية أمير المؤمنين (عليه السلام) حول الأخوة والصحبة وما فيها من الآثار التي لا تخفى.

ثانياً / المعاشرة والصحبة(قارنْ أَهْلَ اَلْخَيْر تَكُنْ مِنْهُمْ وَبَاينْ أَهْلَ اَلشَّرِّ تَبنْ عَنْهُمْ)

فهذا أمرٌ مهمٌ أيضاً يجب علينا الالتفات إليه والاهتمام به من حيث المعاشرة والصحبة إذا أنَّ ذلك له أثرٌ بالغٌ على النفس وعلى العلاقة مع الآخرين، فيجب على الإنسان أنْ يحسن العشرة مع أهل الخير الذين يتصفون بالصفات الحميدة ومكارم الأخلاق ويكون قريناً لهم دون سواهم، فإنَّ هؤلاء هم خيرُ معينٍ للوصول إلى الطاعة والرضا والذكر الجميل، فعلينا أنْ نكون على دقةٍ في المعاشرة مع الآخرين لأنَّ العشرة والصحبة لها علاقة في الروابط الاجتماعية وصلاح المجتمع، وقد

وردت في ذلك روايات عدة منها ما ورد في اتخاذ الإخوان والصديق كما مر، وخير ما ورد في ذلك عن الإمام الكاظم (عليه السلام) قوله: (اجتهدوا في أنْ يكون زمانكم أربع ساعات، ساعة لمناجاة الله، وساعة لأمر المعاش، وساعة لمعاشرة الإخوان والثقات الذين يعرِّفونكم عيوبكم ويخلصون لكم في الباطن، وساعة تخلون فيها للذاتكم في غير محرم وبهذه الساعة تقدرون على الثلاث ساعات)[1] فهذه الرواية تبين لنا ملامح المعاشرة بدقةٍ متناهيةٍ، فليس يصاحب الإنسان أيَّ أحدٍ بل مَنْ جُمِعت فيه هذه الخصال، ومما ورد في ذلك عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قوله: (ليس شيءٌ أدعى لخيرٍ، وأنجى من شرٍّ من صحبةِ الأخيار)[2]، وفي التحذير من صحبة الأشرار يقول (عليه السلام): (صحبةُ الأشرارِ تكسبُ الشرَّ، كالريحِ إذا مَرَّتْ بالنتن حملت نتناً)[3] وقال (عليه السلام): (صحبةُ

---

١ . تحف العقول ص ٣٠١.
٢ . غرر الحكم، الحكمة (٩٤٣٥).
٣ . المصدر نفسه، الحكمة (٩٨٢٦).

الأحمقِ عذابُ الروح)[1] بينما (صحبةُ الوليِّ اللبيبِ حياةُ الروح)[2] وغير ذلك مما ورد في العشرة والمعاشرة واختيار الأخيار لمعاشرتهم حيث لا يحتاج إثبات عظمة هذه الصُّحبة إلى مزيدٍ من الأحاديث أو الاستدلال في أثره على صلاح المجتمع.

ثالثاً / الرزق والابتعاد عن الحرام(بِئْسَ اَلطَّعَامُ اَلْحَرَام..وَرُبَّ يَسِيرٍ أَنْمَى مِنْ كَثِيرٍ)

إنَّ هذا الأمر يعد من المسائل الجوهرية التي لها علاقة بالإنسان المسلم في المحافظة على نفسه من الوقوع في المحرمات عن طريق الكسب غير الشرعي، فيحتاج إذاً أنْ يتأمل في المال الذي يحصل عليه ومصدره، لأنَّ هذا المال مصدر غذائه المادي فإنْ كان حلالاً فإنه يبني ذلك الجسد على أصلٍ حلال، وإنْ كان حراماً فإنه يُدخل في جوفه الحرام، وما في ذلك الخطر والسوء على الإنسان، فيُبني ذلك الجسد على الحرام فيكون بعيداً عن الله تعالى.

---

١ . المصدر نفسه، الحكمة (٩٨٥١).
٢ . المصدر نفسه، الحكمة (٩٧٧١).

والإمام (عليه السلام) يشير في هذه الفقرة إلى الاهتمام بالنسبة للناس بالعمل، والحث على العمل، ولكن العمل الحلال الذي يحصل به على الكسب الحلال دون الحرام، ولذا فإنَّ الرزق أمرٌ مهمٌّ يجب علينا أنْ نفكِّرَ في كيفية حصوله دون عدم الاهتمام والمبالاة في ذلك، فيقول (عليه السلام) في بعض مقاطع الوصية: (واعلم يا بني إنَّ الرزق رزقان: رزقٌ تطلبُهُ، ورزقٌ يطلبُك، فإنْ أنت لم تأتِه أتاك) وفي كل هذا إشارة إلى الكسب والعمل دون التذمر والبطالة والعطل.

ومن الروايات المباركة التي وردت في الحث على طلب الحلال قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): (العبادةُ عشرةُ أجزاءٍ، تسعةٌ في طلبِ الحلال)[1]، بل إنَّ طلب الحلال والعمل والجهد فيه يُعَدُّ جهاداً كما في بعض الروايات فعن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): (الكادُّ على عيالِهِ كالمجاهدِ في سبيل الله)[2]، وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) في الحث على ذلك: (مَنْ باتَ

---

١ . ميزان الحكمة، ٣ / ١٧٤.
٢ . المصدر نفسه.

كالاً في طلب الحلال يأتِ مغفوراً له)[1]، ففي كل ذلك حث المجتمع على التفكر في كيفية العمل، دون تكالبِ بعضهم على بعض من أجل الحصول على المال ولو كان من الحرام، فإنَّ الرزق الحلال تظهر آثاره على الفرد والمجتمع من حب الخير والإحسان، وأما الحرام فإنه ينشر الرذيلة والجريمة.

رابعاً / اجتناب الظلم(وَظُلْمُ اَلضَّعِيفِ أَفْحَشُ اَلظُّلْمِ)

إن الظلم من أقبح صفات العباد، بل هو من صفات الطغاة والظلمة، وإنَّ نتيجة الظلم ظلماتٌ وعذاب، وقد حذَّرَ الله تعالى من هذه الصفات المذمومة في كثيرٍ من آياته المباركة وكذا الروايات الشريفة، وهذا أمرٌ عقليٌّ وبديهيٌّ لا يحتاج إلى دليل واستدلالٍ عليه بل حتى التذكير فيه، وإنَّ ذكر الإمام (عليه السلام) إنما يأتي من حيث التأكيد على الصفات الحميدة التي يجب على المسلم أنْ يتحلى بها ويتذكَّرها دائماً، لأنَّ الظلمَ حبلُهُ قصيرٌ ولا بد أنْ ينقطعَ بأهله، وكُلُّ أنواع الظلم قبيحٌ ولكنَّ أقبحها هو ظلم الضعفاء الذين لا ناصر ومعين

---

١ . المصدر نفسه.

لهم، قال تعالى في التحذير من عواقب الظلم: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ كَذَلِكَ نَجْزِي القَوْمَ المُجْرِمِينَ﴾[1] وقال تعالى: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[2] ومن الأحاديث الشريفة قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): (اتقوا الظلمَ فإنه ظلماتٌ يوم القيامة)[3]، وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): (الظلمُ يزلُّ القدم، ويسلبُ النِّعَم، ويهلكُ الأمم)[4]، وقال (عليه السلام): (بئسَ الزادُ إلى المعادِ العدوان على العباد)[5]، ومن آثار الظلم كما ورد في الروايات أنه أكبر المعاصي، وأنَّ الظالم لا يشم رائحة الجنة، وأنه يخرب القلوب، وأنَّ فيه التدمير والهلاك، وقصر العمر وغير ذلك.[6]

---

١ . يونس: ١٣.
٢ . النمل: ٥٢.
٣ . الكافي ٢ / ٢٣٢.
٤ . غرر الحكم، الحكمة (١٠٤١١).
٥ . ميزان الحكمة، ٤ / ١٧٧٠.
٦ . يراجع ميزان الحكمة، ٤ / ١٧٦٩.

بل إنَّ الشريعة المقدسة حثت على نصرة المظلومين والأخذ لهم بحقوقهم وإعاناتهم، فقد ورد عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): (مَنْ أخذ للمظلومِ من الظالم كان معي في الجنة مصاحباً)[1]، بل ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) ما يؤكد عظمة نصرة المظلوم من الظالم قوله: (ما مِنْ مؤمنٍ يعينُ مؤمناً مظلوماً إلا كان أفضلَ من صيامِ شهرٍ واعتكافٍ في المسجد الحرام، وما من مؤمنٍ ينصرُ أخاه وهو يقدر على نصرته إلا نصرهُ الله في الدنيا والآخرة، وما من مؤمنٍ يخذلُ أخاه وهو يقدر على نصرته إلا خذلهُ الله في الدنيا والآخرة)[2] وغير ذلك من الأحاديث التي وردت في التحذير من الظلم والحث على نصرة المظلوم، فالإمام (عليه السلام) يؤكد على هذا المبدأ الإنساني ويبيِّن أثره على النفس والمجتمع من أجل المحافظة على المجتمع من آفات الظلم والظالمين.

خامساً / القناعة والكفاف(وَلاَ تُخَاطِرْ بشَيْءٍ رَجَاءَ أَكْثَرَ مِنْهُ)

---

١ . المصدر نفسه، ٤ / ١٧٨٠.
٢ . المصدر نفسه.

وهذا الأمر في هذه الفقرة له علاقة وثيقة بالتي قبلها حيث أنَّ الإنسان لو تخلَّق بصفتي القناعة والكفاف لم يفكر في الحصول على المال من الحرام، وهذا من أعلى درجات الخلق الرفيع الذي ينبغي على الفرد أنْ يتحلى به، والروايات الشريفة أيضاً قد حثت على ذلك، فمنها قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): (ما قَلَّ وكفى خيرٌ مما كثر وألهى)[1] وقال أمير المؤمنين (عليه السلام)في آثار القاعة والكفاف: (ومَنِ اقتصرَ على بلغة الكفاف فقد انتظم الراحة، وتبوأ خفض الدعة).[2]

وينبغي بيان بعض الأمور التي لها أثر في زيادة الرزق والأموال فلعل بعضٌ يتصوَّر من خلال ما مضى أنَّ الشريعة ضد الغنى والحصول على المال فإنَّ هذا مفهومٌ خاطئ بل القران يتحدث عن ذلك بصراحة حيث قال تعالى: (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ)[3] فالشريعة ليست ضد ذلك بل يجب على الإنسان أنْ يعرف كيفية الحصول على المال

---

١ . نفس المصدر، ٤ / ١٠٧٧.
٢ . نهج البلاغة الحكمة (٣٧١).
٣ . الأعراف: ٣٢.

الحال والقناعة والكفاف به وإنْ كان قليلاً، لأنَّ صفة الطمع تؤدي بصاحبها إلى المحرمات وسوء الخُلُق وما يترتب على ذلك من آثار على العبد والمجتمع من خلال العلاقات العامة بالمحافظة على الأخلاق والمبادىء والارتقاء بهما، ولزيادة الرزق أسباب عدة كما بيَّنتها الروايات منها: البر والإحسان سواء لأهل بيته أم لغيره، وحسن الخلق، ومواساة الإخوان، والأمانة والطهارة والتطهر، والتصدق على الآخرين، إضافة إلى تأدية الحقوق الشرعية الواجبة.[1]

إذاً فالإمام (عليه السلام) يبغي في هذا المقطع من وصيته الخالدة المحافظة على سلامة النفس مما يؤثِّر في سموِّها وارتقائها وفي ذلك أعظم النظم لتنظيم الحياة الاجتماعية.

سادساً / التحذير من الخصومة واللجاج (وَإِيَّاكَ أنْ تَجْمَحَ بكَ مَطِيَّةُ اللَّجَاجِ)

---

١ . وقد ورد في كل ذلك أحاديث مباركة لم أذكرها خوف الإطالة ويمكن مراجعة ميزان الحكمة ج٣ باب (ما يجاب الرزق ويزيده) ص ١٠٧٣.

وهذا سبب مهم من أسباب المحافظة على العلاقات الاجتماعية وتقوية روابطها دون الاغترار بالنفس وما عندها مما يؤدي ذلك إلى اعتداد الإنسان بنفسه لا غير حتى يؤدي ذلك به إلى أنْ يخاصم الآخرين باللجاج والعناد، فيفسد خلقه ويبعد الآخرين عنه، فيفتقد وُدَّهم وتواصلهم والتعاون معهم في سبيل المجتمع، ولذا يعبر الإمام (عليه السلام) بلفظ التحذير (وإياك) لما فيها من الآثار السيئة إضافة عن تعبيره بـ (الجموح) وفيه تأكيد على ذلك التحذير من آثار هذه الصفات من ركوبها صاحبها، فقد ورد في معنى الجموح قولهم: (جمح وهو ذهاب الشيء قُدُماً بغلبةٍ وقوةٍ)[1] ولا يمكن التغلُّب على ذلك إلا بصفاء القلب وتنوُّره بالحكمة والخلق الحسن الذي مضى الحديث عنه في المحور الأول وما كان متعلقاً بالذات وتربيتها، ولذا حذرت الشريعة من هذه الصفة في كثيرٍ من الروايات منها ما ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام): (إياكم والخصومة فإنها تشغلُ القلب،

---

١ . معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، مادة (جمح).

وتورثُ النفاق، وتكسبُ الضغائن)[1]، وقال أيضاً: (لا يخاصم إلا مَنْ قد ضاق بما في صدره)[2] وغيرها من الروايات التي تحذر من ذلك وخطره.

سابعاً / حسن الجوار(سَلْ عَنِ الرَّفِيقِ قَبْلَ الطَّرِيقِ وَعَنِ الجَارِ قَبْلَ الدَّارِ)

إنَّ حسن الجوار من أعظم المسائل التي أكد عليها الإسلام في تشريعاته المباركة، قال تعالى: (وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللّهَ لاَيُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً)[3] وكذا الروايات الشريفة وبيان حقوق الجار ومسؤولية المسلم تجاه ذلك حتى مع غير المسلمين وفي ذلك بيان رفعة وعلوٍّ ومقام الشريعة المقدسة حيث أنَّ المشرك أيضاً له حق الجوار ويجب علينا الحفاظ عليه حيث روي في ذلك عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): (الجيران ثلاثة، جارٌ له

---

١ . الكافي ٢ / ٣٠١.
٢ . المصدر نفسه.
٣ . النساء: ٣٦.

ثلاثة حقوق: حق الجوار، وحق القرابة، وحق الإسلام. وجارٌ له حقان: حق الجوار، وحق الإسلام، وجارٌ له حق الجوار المشرك من أهل الكتاب)[1] وفي ذلك أعظم دعوة للنظام الاجتماعي المتكامل، وخير بيانٍ لهذا الأمر ما أكده الإمام السجاد (عليه السلام) في رسالته العظيمة رسالة الحقوق حيث يقول: (وأما حقُّ جارِكَ فحفظُهُ غائباً، وإكرامُهُ شاهداً، ونصرتُهُ إذا كان مظلوماً، ولا تتبع له عورةً، فإنْ علمتَ عليه سوءً سترتَهُ عليه، وإنْ علمتَ أنه يقبلُ نصيحتَكَ نصحتَهُ فيما بينكَ وبينه، ولا تُسلمه عند شديدةٍ، وتُقيلُ عثرتَهُ، وتغفرُ ذنبَهُ، وتعاشرهُ معاشرةً كريمةً، ولا قوة إلا بالله)[2] فهذه جملة من حقوق الجار يجب علينا الحفاظ عليها وفي ذلك غنىً عن بيان أبعاد وآثار هذا الخلق الإسلامي الرفيع، والإمام (عليه السلام) يؤكد ذلك في وصيته الخالدة لما في ذلك من المحافظة على حقوق المجتمع والأخذ به نحو كماله وتكامله.

---

١ . مجمع البيان ٣ / ٨٣.
٢ . رسالة الحقوق.

ثامناً / كرامة المرأة (واكْفُفْ عَلَيْهِنَّ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ بِحِجَابِكَ إِيَّاهُنَّ، فَإِنَّ شِدَّةَ الحِجَابِ أَبْقَى عَلَيْهِنَّ، وَلَيْسَ خُرُوجُهُنَّ بِأَشَدَّ مِنْ إِدْخَالِكَ مَنْ لاَ يُوثَقُ بِهِ عَلَيْهِنَّ)

إنَّ الإسلام أعظم الأنظمة الاجتماعية التكاملية التي حافظت على كرامة المرأة وحقوقها وشرَّعت الإحكام في ذلك، ولو أننا اطلعنا على الأحكام الشرعية العامة المتعلقة بالمرأة وتمت مقارنتها مع الأنظمة الأخرى لرأينا عظمة الإسلام في الحفاظ على المرأة من كُلِّ أمرٍ يؤدي سوءً إليها، والآيات المباركة والأحاديث الشريفة تؤكد هذا المعنى، بل لو تمت دراسة حال المرأة قبل الإسلام وبعده لتبينت لنا أيضاً حقيقة ومكانة المرأة المكرَّمة، وفي هذه الوصية الخالدة يشير الإمام (عليه السلام) إلى عدة مسائل تتعلق بالمرأة ونحن نختار منها أمراً واحداً وهو ما يتعلق بحجاب المرأة وأهمية هذه المسألة ودوره في حفظ المرأة والمجتمع من الزلل والضلال، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا الأمر في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاء الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن

جَلابيبهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَّحِيماً)[1] حيث ورد في تفسير هذه الآية المباركة: (إنَّ المراد بالجلباب أنه قماشٌ أطولُ من الخمار يغطي الرأس والرقبة والصدر، أو أنه المقنعة والخمار، أو القميص الفضفاض الواسع، فالعامل المشترك فيها تستر البدن)[2] فالحجاب أحد السُّبُل التي تحافظ على المرأة وتصونها من الضياع، والروايات أكدت ذلك فقد روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قوله: (صيانةُ المرأةِ أنعمُ لحالها، وأدومُ لجمالها)[3] وكذا في الرواية عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في عدم الخلوة بالنساء وآثار ذلك قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): (لا يخلوَنَّ رجلٌ بامرأةٍ إلا كان ثالثهما الشيطان)[4] إذاً فالتعامل مع المرأة يجب أنْ يكون ضمن الحدود الشرعية والضوابط الأخلاقية التي لا تؤدي إلى الإفساد والانحلال، فالمجتمع الذي نراه اليوم – حقيقة– هو بعيدٌ عن تعاليم الشريعة

---

١ . الأحزاب: ٥٩.
٢ . الأمثل، ١٣ / ٢٥١.
٣ . ميزان الحكمة، ٧ / ٢٨٧٦.
٤ . المصدر نفسه.

المقدسة وهذه الوصايا العظيمة، والأمر ليس متعلق بتركِ الحجاب في هذه المقطع فقط، بل ما يتعلق بدخولها وخروجها وإدخال الغير عليها، وكُلُّ ما يتعلق بشؤونها وصيانتها، وهذه من أعظم المناهج التربوية والوصايا إلى أولياء الأمور للتأمل في ذلك، وخصوصاً في هذا الزمن حيث تكالب أعداء الإسلام على المسلمين ومحاولة إفساد أخلاقهم من خلال جميع الوسائل وخصوصاً القنوات الإعلامية المرئية والمسموعة، فيجب علينا الحذر من كل ذلك حيث أصبح العدو اليوم يدخل إلى البيوت، بل إلى الغرف الخاصة، فلنتأمل في قوله (عليه السلام): (وليس خروجهن بأشد من إدخالك مَنْ لا يوثق عليهن) فإنها تحمل في أعماقها معانٍ كبيرة جداً، وما تلك الصور المخالفة الشريعة والبرامج والقنوات إلا بمثابة دخول مَنْ لا يوثق عليهنَّ.

تاسعاً / صلة الرحم (وَأَكْرِمْ عَشِيرَتَكَ فَإِنَّهُمْ جَنَاحُكَ الَّذِي بِهِ تَطِيرُ
وَأَصْلُكَ الَّذِي إِلَيْهِ تَصِيرُ وَيَدُكَ الَّتِي بِهَا تَصُولُ)

إنَّ صلة الرحم والتواصل من أهم السبل في المحافظة على الروابط الاجتماعية التي حث عليها الإسلام من

خلال تعاليمه، ولا يخفى على أيِّ إنسانٍ أثر ذلك في الصلاح، إضافة للثواب العظيم الذي وعد الله تعالى عليه، فالإمام يحث على إكرام العشيرة والتواصل وصلة الرحم في وصيته المباركة للمحافظة على ذلك التواصل والتراحم والتعاهد، ولكن كل ذلك يجب أنْ يكون ضمن الحدود التي تحفظ للمرء كرامته ومبادءه وتعاليم الشريعة المقدسة لا ما هو المتعارف عند بعض الناس من الالتزام بالأعراف العشائرية وإنْ كانت على حساب الدين والمبدأ، وقد أشار الله تعالى في كتابة المجيد إلى ذلك بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[1] فالتعارف بين الناس على أساس المحبة وتقوى الله غاية عظيمة وعلى أساسها تُبنى العلاقات الكريمة، وكذلك فإنَّ الروايات المباركة قد حثت على هذا المبدأ القرآني في بناء المجتمع الإنساني المتكامل حيث روي عن أمير المؤمنين في إحدى خطبه:

---

١ . الحجرات: ١٣.

(أيها الناس إنه لا يستغني الرجلُ وإنْ كان ذا مالٍ عن عترته (عشيرته) ودفاعهم عنه بأيديهم وألسنتهم، وهم أعظمُ الناسِ حيطة من ورائه وأَلَمَّهم لشعثه، وأعطفهم عليه عند نازلةٍ إذا نزلت به)[1] وإنَّ لصلة الرحم آثاراً كثيرةً تضمنها الروايات، ومن أهم آثار هذه الصلة تزكية الإعمال، وتنمية الأحوال، ودفع البلاء، وتيسير الحساب، وتهوين سكرات الموت، والعصمة من الذنوب، وخير الدنيا والآخرة، وطول العمر، ونفي الفقر، والوقاية من ميتة السوء، وغيرها من الآثار المباركة.[2]

فالإمام في وصيته الخالدة يؤكد على هذه الأهداف إضافة لما لها من الآثار التربوية الأخرى على الفرد والمجتمع في تكامله.

عاشراً / التمسك بالحق (مَنْ تَعَدَّى الحَقَّ ضَاقَ مَذْهَبُهُ)

وهذه الصفة أيضاً من الأسباب المهمة التي تساعد الفرد على تربية ذاته وبالتالي تربية المجتمع من خلال التمسك

---

١ . نهج البلاغة، الخطبة (٢٢).

٢ . وقد ورد في الشريعة أحاديث كثيرة تتضمن هذه الآثار يمكن الرجوع إليه في كتب الحديث ومنها ميزان الحكمة باب (صلة الرحم) ص١٠٥٤.

بالحق والتواصي به والحفاظ على مبادئه دون الركـــون إلى الباطل والتنازل عن المبادئ السامية للفرد والمجتمـــع الإسلامي، فإنَّ الحق يوصل إلى الخير والـــبر والتعـــاون وتحقيق السعادة في كل مجالاتها، وما نراه من الـــويلات التي تمر بها الإنسانية إلا بسبب ابتعادهم عن الله تعـــالى والركون إلى الباطل عن طريق اللذات والشهوات ومـــا يترتب على ذلك من آثار، ولذا يعـــبر الإمـــام (عليـــه السلام) بلفظ (التعدي) فإنَّ فيه من الآثار ما لا يمكن أنْ يراها الفرد والمجتمع في العاجل بل قد يقع في ظلماتها في المستقبل، ولذا يُعَبِّر الإمام عن هذه العاقبة بقوله: (ضاق مذهبه) وإذا ضاق بالمرء مذهبه وما يؤمن به صار يتخبَّط مع هذا وذاك حتى الضياع التام.

فهذا أمر يجب علينا أنْ نؤمن به، ونحافظ عليه، ونقدم له كل شيء، لأنَّ فيه الصلاح والوصـــول إلى الله تعـــالى، وجميع الشرائع حثت على ذلك.

في ختام هذه الفقرة العاشرة نكون قد بَيَّنا بإيجازٍ بعـــض الفقرات لهذه الوصية الخالدة وما لها دورٍ كبيرٍ وأثرٍ بليغٍ في بناء الروابط الإنسانية في المجتمع، وإنَّ هذه الوصـــية

قد تضمنت من المعاني ما لا تفي حقها سطور هذا البحث المتواضع، بل تحتاج إلى دقةٍ وتأملٍ كبيرَيْنِ للتعرُّف على مفرداتها السامية والتي بلغت العشرات، وفي كل فقرة منها درسٌ من دروس التربية النفسية والاجتماعية وقد اقتصرنا على بعض الفقرات اختصاراً للبحث، نتمنى أنْ نكون قد استطعنا أنْ نبيِّن بعض الجوانب المهمة لهذا الوصية المباركة الخالدة التي أوصى بها ربيب القرآن أمير المؤمنين (عليه السلام) ولده الإمام الحسن المجتبى (عليه السلام) وهي بالتالي لكُلِّ إنسانِ وكُلِّ مجتمعٍ يبحث عن نجاحه وسعادته ووصوله إلى الرُّقي والتكامل الإنساني.

اللهم تقبل منا بأحسن قبولك واجعلنا ممن ينتفعُ ويُنفع بهذه الكلمات الخالدة وآخر دعوانا أَنِ الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

الخاتمة

* إن كتاب نهج البلاغة يعد من الكتب التربوية التي ينبغي علينا الاهتمام بها وقد تناول البحث هذا الجانب لأهميته في الحياة العملية من أجل مجتمعٍ إنسانيٍّ متكامل

وقد حاولنا بيان بعض المفردات التي تضمنتها وصية أمير المؤمنين (عليه السلام) الخالدة لولده الإمام الحسن (عليه السلام) من خلال محاور البحث ..

* في المحور الأول تم التركيز على مرحلة تهذيب الذات وعلاقتها الخاصة مع الله تعالى وأثر ذلك على التربية النفسية من خلال بعض مفردات الوصية وبيانها من خلال الآيات المباركة والأحاديث الشريفة التي وضعت منهجاً لذلك..

* في المحور الثاني تم بيان أثر بعض الأعمال على سلامة قلب الإنسان مما يشوبه من المساوىء والانحرافات وبيان الأبواب التي تحافظ علة سلامة القلب من خلال كلمات الوصية وقد اخترنا عشرة أبواب لها دور في الحفاظ على القلب ليكون منبعاً للخير والعمل الصالح والتفكير السليم للصلاح والإصلاح والنجاة والسعادة ..

* في المحور الثالث للبحث تناولنا الجانب الأبعد لتربية الذات وهو بيان دورها في المجتمع من خلال العلاقة مع الآخرين بأنواعها وكيفية المحافظة على جميع العلاقات من خلال طريق تربويٍّ يبينه الإمام (عليه السلام) في هذه

الوصية العظيمة التي لها أثر كبيرٍ في صلاح المجتمع بعد صلاح النفس ..

* أرى من الواجب الاهتمام بهذه الوصية لما فيها من الدروس والعبر النافعة لأنْ تكون منهاجاً تربوياً متكاملاً في شتى المجالات، علماً أننا في البحث لم نتناول جميع المفردات التي وردت في الوصية وذلك لضيق المقام وإلا فهناك توصيات أخرى في هذه الوصية تحتاج إلى تسليط الضوء عليها، وأتمنى أنْ يوفَّقَ الباحثون في مجال التربية إلى دراسة هذه الوصية بإمعانٍ وتدبرٍ كبيرين والمقارنة بين هذا المنهج الرباني والمنهج الإنساني ومنه الغربي لنرى عظمة تراثنا الإسلامي وتكامله واهتمامه بالتربية وبالإنسان ..

التوصيات

إننا ومن خلال هذه البحوث التي تحاول أنْ تتناول هذا النهج العظيم (نهج البلاغة) يرى الباحث وبتواضع أنْ يوصي ببعض الوصايا التي يراها مهمة لعل الإخوة في اللجنة العلمية أو التحضيرية يأخذون بها أو يطالبون الجهات المختصة، من هذه التوصيات:

١- مطالبة وزارة التربية بإدخال عدة خطب وكلمات لأمير المؤمنين (عليه السلام) وردت في هذا السِّفْرِ الخالد (نهج البلاغة) لما فيها من المعاني الراقية، والفصاحة العالية، ليتعلم الأجيال الفصاحة العربية الإسلامية وما في ذلك من الأهمية الكبيرة في مجال تربية الأجيال.

٢- أنْ تؤخذ عدة نصوص وتدخل المناهج الدراسية وخصوصاً مرحلة الإعدادية وبالأخص القسم الأدبي فتكون النصوص تارة للحفظ وأخرى للشرح وثالثة لبيان الوجه البلاغي الإبداعي، دون ما نراه من نصوص تفتقد إلى الروح الدينية والأخلاقية والتراثية.

٣- مطالبة وزارة التعليم العالي باستحداث مادة خاصة اسمها (نهج البلاغة) وخصوصاً للكليات الأدبية والدينية أو لبعض الكليات وتتناول بعض خطب الكتاب بالدراسة والتحليل.

٤- أدعو وأنا أقلُّ الداعين إلى إنشاء مركزٍ تخصصيٍّ للدراسات الفكرية والعلمية والثقافية لنهج البلاغة في هذه المدينة المقدسة التي انطلقت منها مفردات البلاغة والمعاني والبيان ليكون هذه المركز متخصصاً في كل ما

يتعلق بنهج البلاغة من حيث البحوث والمؤلفات والدراسات وطبع المنشورات وغيرها.

٥- أتمنى أنْ تكون هناك مسابقة سنوية للكتابة عن محورٍ معينٍ واحدٍ لمحاور نهج البلاغة لنحصل بذلك على مجموعة كبيرة من البحوث القيمة التي ترفد المكتبة الإسلامية وخصوصاً لو كانت المسابقة عالمية وبلغات مختلفة.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- إعراب القرآن الكريم وبيانه، محي الدين الدرويش، مط سليمان زاده، قم، ط٢، ١٤٢٨هـ.
- الأخلاق عنوان الإيمان، السيد محمد تقي المدرسي، الناشر: محبي الحسين (عليه السلام)، ط٤، ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م، قم.
- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، مط دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٤٢٦هـ٢٠٠٥م.

– تحف العقول عن آل الرسول، الحسن بن علي بن شعبة الحراني، قدم له وعلق عليه الشيخ حسين الأعلمي، ط٧، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

– تزكية النفس سبيل المؤمن، السيد محمد تقي المدرسي، الناشر: محبي الحسين (عليه السلام)، ط١ ١٤٢٧هـ، قم.

– التعلم والتعليم في النظرية التربوية الإسلامية، يوسف مدن، مط دار الهادي، بيروت، ط١، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

– التوازن في الشخصية الإسلامية، حسين بركة الشامي ،ط٢ ، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م، الناشر: ديوان الوقف الشيعي.

– جامع السعادات، الشيخ محمد مهدي النراقي، صححه وعلق عليه السيد محمد كلانتر، ط٤، مط الآداب، النجف، الناشر: جامعة النجف الدينية.

– الحقوق الاجتماعية في الإسلام، عباس ذهبيات، مط سفارة، قم، ١٤٢٦هـ الناشر: مركز الرسالة

- دروس في الحياة، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ط١، مط أمير المؤمنين (عليه السلام)، قم، الناشر: مدرسة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام).
- دور الدين في حياة الإنسان، الشيخ محمد مهدي الآصفي، ط٢، ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م، مط عمران، قم، الناشر: مؤسسة الكوثر للمعارف الإسلامية.
- الدين النصيحة، الشيخ عباس كاشف الغطاء، ط١، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م، دار العلوم، بيروت.
- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المعتزلي، مط دار الكتب العربية الكبرى، مصر.
- شرح نهج البلاغة، محمد عبده، حققه محمد محي الدين عبد الحميد، مط الاستقامة، مصر.
- الصحيفة السجادية، الإمام زين العابدين (عليه السلام)، تقديم السيد محمد باقر الصدر، مط رسول، ط١، ١٤٢٦هـ٢٠٠٦م، قم، الناشر: مدين.
- على أبواب الآخرة، السيد محمد تقي المدرسي، الناشر دار محبي الحسين (عليه السلام)، ط١، ١٤٢٥ هـ ٢٠٠٥م.

- غرر الكلم ودرر الحكم، الآمدي.
- في رحاب القرآن/ الكلمة الطيبة في القرآن، الشيخ محمد مهدي الآصفي، ط١، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٤م، إيران، الناشر: المشرق للثقافة والنشر.
- الكافي، الشيخ الكليني (ت ٣٢٨هـ)، صححه وقابله وعلق عليه علي أكبر الغفاري، الناشر: دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٩١هـ.
- مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ١٩٩٥م.
- مصطلحات قرآنية، الدكتور صالح عضيمة، مط دار النصر، بيروت، الناشر: الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية، ١٤١٤هـ١٩٩٤م.
- المعجزة الخالدة، السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني، بغداد، ١٤٢٥هـ٢٠٠٤م.
- معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس، مط دار إحياء التراث الغربي، بيروت، ١٤٢٩هـ٢٠٠٨م.

- المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ضبط هيثم طعيمي، مط دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٨م.
- المنهج التربوي عند أهل البيت (عليه السلام)، السيد سعيد كاظم العذاري، مط ليلى، الناشر: مركز الطباعة والنشر للمجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام) ١٤٢٧هـ، قم.
- مواهب الرحمن في تفسير القرآن، السيد عبد الأعلى الموسوي السبزواري، مط الديواني، بغداد، ط٣، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.
- وسائل الشيعة، محمد بن الحسن الحر العاملي، تح مؤسسة تراث آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث، ط٣، ١٤١٦هـ، قم.
- ميزان الحكمة، محمد الريشهري، ط٢، مط دار الحديث، تح دار الحديث، ١٤١٦هـ.
- الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

قائمة الرموز

ص صفحة

ش شرح

تح تحقيق

م سنة ميلادية

هـ سنة هجرية

ط طبعة

مط مطبعة